جامعة الأزهر الشريف

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

مَعَالِمُ الربّانيّة
فِي حَيَاةِ المرأة المُسْلِمَة

د. جمال عبد الستار محمد

الأستاذ المساعد بالكلية

ملخص البحث:

إن المرأة المسلمة بما حباها الله من إمكانات وطاقات إذا تحققت بالربانية أمكنها أن تقدم أروع الأمثلة وأعظم الأثر في المجتمع، فبالربانية يتحقق الصلاح والإصلاح، والنجاح والفلاح، والنهوض والريادة والتمكين.

وجاء هذا البحث ليوضح معالم الربانية في حياة المرأة المسلمة، وبدأ بالحديث عن علم ينير طريقها، ثم عبادةٌ تصلها بربها، ثم رعاية تصلح أسرتها، ثم بذل ينهض بمجتمعها، ثم دعوة تنشر بها دينها، وخلص البحث إلى أن تلك المعالم ليست مجرد خيالات أو ادعاءات، ولكنها حقائق يجب أن تتجسد على أرض الواقع لترسم ملامح جديدة للمرأة المسلمة.

الكلمات الدلالية:

معالم-الربانية-المرأة المسلمة

مقدمة

إن المرأة المسلمة بما حباها الله من إمكانات وطاقات إذا تحققت بالربانية أمكنها أن تقدم أروع الأمثلة وأعظم الأثر في المجتمع، فبالربانية يتحقق الصلاح والإصلاح، والنجاح والفلاح، والنهوض والريادة والتمكين.

إن الأُمّة الإسلامية اليوم في حاجة ماسة إلى كل جهد وبذل، وحاجتها إلى تلك الجهود المخلصة للطاقات الكامنة والخاملة عند المرأة المسلمة أقوى وأكثر إلحاحًا، وإن الربّانيّة التي نتوق إلى تحققها سواء في الرجال أم النساء ليست مجرد ادعاء لا أثر له، ولا ظاهر لا حقيقة له، ولا مفاهيم فكرية مجردة عن الواقع والتطبيق. ولكن الربّانيّة التي نسعى إليها ونبحث عنها هي تلك الربّانيّة المنتِجة على الصعيد الفردي والجماعي.

هي تلك الربّانيّة التي تفجر الطاقات وتستثمر الإمكانات، هي التي تنقل العالم الإسلامي من التبعية إلى الريادة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الحاجة والفقر إلى الغنى والعطاء، وإنّ المرأة المسلمة ليست هي تلك الصورة التي يسوِّقها البعض من تخلف علمي وتأخر فكري وغياب اجتماعي وحبس انفرادي أو جماعي!!؛ بل هي -بربانيتها الحقة- صاحبة الريادة العبادية، والسبق العلمي، والأثر الاجتماعيّ الفعّال، والحركة الدعوية الدائبة والرعاية الأسرية المتكاملة.

ومن هذا المنطلق قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: علم ينير طريقها
المبحث الثاني: عبادةٌ تصلها بربها
المبحث الثالث: رعاية تصلح أسرتها
المبحث الرابع: بذل ينهض بمجتمعها
المبحث الخامس: دعوة تنشر بها دينها

تمهيد

التعريف بالربانية

١. الربانية لغة :

قال صاحب المعجم الوجيز: الرباني الكامل في العلم والعبادة والرباني المنسوب إلى الرب[١]، وفي لسان العرب: "قال سيبويه: زادوا أَلفاً ونوناً في الرَّبَّاني إِذا أَرادوا تخصيصاً بعِلْم الرَّبِّ دون غيره كأَن معناه صاحِبُ عِلم بالرَّبِّ دون غيره من العُلوم ... والرَّبِّيُّ منسوب إِلى الرَّبِّ والرَّبَّانِيُّ الموصوف بعلم الرَّبِّ، وقال ابن الأَعرابي: الرَّبَّانِيُّ العالم المُعَلِّم الذي يَغْذُو الناسَ بِصغارِ العلم قبلَ كِبارها"[٢].

٢ . الربانية في الاصطلاح :

الرَّبَّاني منسوب إلى الرَّبِّ؛ لأنه قريب من الله تعالى، يَتلقَّى منهجه في هذه الحياة من الله تبارك وتعالى، وعليه يعتمد في سيره في هذه الدنيا، وإلى الله –عز وجل– مرجعه ومصيره، فهو عبدٌ لا يأخذ توجيهاتِه إلا من ربِّه، ولا يتلقَّى نظامَ حياته إلا منه.. لهذا فهو عبد رباني [٣].

وقيل : بل الرباني منسوب إلى الرَّبَّان، والرَّبَّان: هو الذي يقوم على أمر الناس ويُصلحهم، ويُسمَّى قائدُ السفينة الذي يتجنَّب بها الأهوال والأمواج والأنواء والعواصف ويسلك بها سبيلَ النجاة حتى تبلغ مرادها.. يُسمَّى رَبَّانا، وليس كل راكب في السفينة بقادرٍ على أن يُجنبها هذه الأهوال، إنما الذي يعلم حقائق القيادة وواقع الأمر هو الذي يعرف كيف يميل بها بعيدًا عن أسباب الفساد حتى ينجوَ بمن معه[٤].

فالرَّبَّانيُّ إِذَنْ عبدٌ عَرف كيف يقود الناس إلى الله لينجوَ هو ومَن معه، وليتجنب صدمات الشيطان؛ ولذلك يُقال عمن يُصلح شخصًا أو شيئًا إنه يَرُبُّه.

---

(١) المعجم الوجيز، ص: ٢٥٠.
(٢) لسان العرب، ج١، ص: ٤٠٣.
(٣) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم، ص: ٥٧٢، ٥٧٣.
(٤) الرائد دروس في التربية والدعوة، مازن عبد الكريم الفريح، ج٣، ص:٢٨٢، الأندلس الخضراء، جدة.

ففي الحديث الصحيح: "أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (يعني على طريقه) مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ.. غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ"(١).

وقال بعض العلماء: (الربّانيّة من التربية، فلا يكون العبد ربانيًّا إلا حين تكون له ممارسةٌ في تربية نفسه وتربية غيره، قال ابن عباس: "الربانيون: الحكماءُ الفقهاء". وقال الحسن البصرى: "الرباني: الذي يُرَبِّي الناسَ بصغار العلم قبل كباره، فالرباني إذن له دور في عملية التربية والإحياء والإصلاح، يُرَبِّي الناسَ بالعلم، وينقلهم من واقعهم إلى الواقع الأفضل، ويدعوهم إلى الأحسن والأجمل، الذي ينفعهم في حياتهم وآخرتهم) (٢).

وقال ابن مسعود: (الرِّبِّيون: الألوف الكثيرة، فلا يكون ربانيًّا مَنْ لم يَضَعْ يده في يد غيره من الصالحين من عباد الله ليكونوا جميعًا ربانيين، لا يكون المُنعزل ربانيًّا، بل الربِّيُّون الجماعات الكثيرة، ويرى بعض علماء اللغة العربية أنّ الرِّبِّيَّ عشرة آلاف، فإذا قال الله تعالى: ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ فهذا يعني أن الذين يسيرون مع الأنبياء ينبغي أن يكونوا كثرةً كثيرةً") (٣).

قال أبو السعود: "الرباني الكامل في العلم والعمل، الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل" (٤)

وعلى ذلك فالربانية علم وعمل وإعداد ،الربانية أن يعيش المسلم بالإسلام في كل مجالات حياته ، وأن يعيش للإسلام بمعنى أن يطوع حياتها كلها في خدمة هذا الدين فنفسه وماله وجهده وعمره وقف لله تعالى.

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، ك: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، ج٨ ص١٢، حديث رقم: ٦٧١٤.
(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ج١، ص: ٤١٣.
(٣) تفسير القرطبي ج٤، ص: ٢٣٠.
(٤) تفسير أبو السعود ج٢، ص: ٥٢، وانظر: فتح القدير ج١، ص: ٤٣٥.

الربانية في القرآن والسنة

وردت كلمة (الربانيون) في القرآن الكريم ثلاث مرات بلفظ (ربانيون) ومرة بلفظ (ربّيون).

أ- الآية الأولى، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(١).

ب- والآية الثانية، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَآتَاهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ت- والآية الثالثة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

ث- والآية الأخيرة، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(٤).

هذه هي مواضع ذكر الربّانيّة في القرآن الكريم، ومن خلالها نستطيع أن نتعرف على معنى الربانية.

وقد أورد الإمام القرطبي -رحمه الله- عدة تفسيرات لمعنى الربّانيّة في تفسير قوله تعالى: (ولكن كونوا ربانيين) ملخصها، ما يأتي:

١. مرب حكيم: الربانيون واحدهم رباني منسوب إلى الرب والرباني الذي يربي الناس على صغار العلم قبل كباره، وكأنه يقتدي بالرّبّ سبحانه في تسيير الأمور.

---

(١) سورة آل عمران (٧٩).
(٢) سورة آل عمران (١٤٦: ١٤٨).
(٣) سورة المائدة (٤٤).
(٤) سورة المائدة (٦٢، ٦٣).

٢. داعية مصلح: فالربانيون هم: أرباب العلم، واحدهم ربان من قولهم ربه يربه فهو ربان: إذا دبره وأصلحه فمعناه على هذا: يدبرون أمور الناس ويصلحونها.
٣. عامل بعلمه الرباني: العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم.
٤. تقي حكيم: وروى شعبة عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود ﷺ [ولكن كونوا ربانيين] قال: حكماء علماء. وقال ابن جبير: حكماء أتقياء.
٥. فقيه بواقع أمته: الرباني: الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، قال أبو عبيدة: سمعت عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي العارف بأنباء الأمّة وما كان وما يكون فيها(١).

هذه المعاني كلها صحيحة، والربانيّ في الحقيقة: هو الذي يتعلم أمر الله ونهيَه ويعرف شرع الله ووحيَه، فيطبقَّه في ذات نفسه، ويدعو غيرَه إليه، ويقوم بعملية الإصلاح في حياة الناس، لما فيه خير الناس في عاجلهم وآجلهم.

الربانية في السنة النبوية

بعد البحث في كتب السنة المعتبرة لم أقف على لفظ الربانية أو رباني، لكن من الممكن أن نلتمس معنى الربانية في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"(٢).

قال في جامع العلوم والحكم: (لمَّا ذكر أنَّ معاداة أوليائه محاربةٌ له، ذكر بعد ذلك وصفَ أوليائه الذين تحرُم معاداتُهُم ، وتجب موالاتُهم ، فذكر ما يتقرَّب به إليه ، وأصلُ الولاية : القربُ ، وأصلُ العداوة : البعدُ ، فأولياء الله هُمُ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه ، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين :

(١) تفسير القرطبي ج٤، ص: ١٢٤.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الرقاق، باب: التواضع، ج٥ ص٢٣٨٤، حديث رقم: ٦١٣٧.

أحدهما : من تقرَّب إليه بأداء الفرائض ، ويشمل ذلك فعل الواجبات ، وتركَ المحرَّمات ؛ لأنَّ ذلك كُلَّه من فرائضِ اللهِ التي افترضها على عباده .

والثاني : من تقرَّب إليه بعدَ الفرائضِ بالنوافل ، فظهر بذلك أنَّه لا طريق يُوصِلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى ، وولايته ، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله ، فمنِ ادَّعى ولايةَ الله ، والتقرُّب إليه ، ومحبَّته بغير هذه الطريق ، تبيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه) (١).

الربّانيّة التي نريدها

نريدها: ربانية نقية، واضحة الغاية، بينة الطريق، مستقيمة على أمر الله، متبعة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ماضية على نهج السلف، بعيدة عن بدع القول والعمل، وانحراف الاعتقاد والسلوك، تسمو بالروح، وتزكو بالنفس، وتحيي الضمير، تجدد الإيمان، وتصلح العمل، وترقى بالأخلاق، وتنمي حقيقة الإنسان!!.

والربانية في الأساس هي تحقيق للرسالة الإنسانية ومهمة الإنسان في الإعمار وتعبيد الأرض لله تعالى، وتتلخص تلك المهمة في ثلاثة محاور:

١. عبادة الله (الجانب التعبدي).
٢. تأهيل الإنسان لحمل الرسالة.
٣. عمارة الأرض باسم الله.

ومما سبق يتبين لنا أنّ الربانية لها صفات ومعالم يجب توافرها في الشخصية الإنسانية؛ ليكون ربانيًّا حقيقيًّا، وسيأتي بيان هذه المعالم التي نريدها للمرأة المسلمة؛ لتكون أكثر فعاليّة، وأرقى وأنقى منزلة عند الله تعالى.

(١) جامع العلوم والحكم، ص٣٦١ .

المبحث الأول: علمٌ ينير طريقها

إنّ بداية الطريق إلى الله علمٌ يقود الإنسان إليه عزّ وجلّ، ولذا قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١) فبدأ بالعلم قبل الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد على غير علمٍ جهلٌ وضلال.

وما كان للربانية أن تتحقق لرجل ولا لامرأة بغير العلم، وذلك أن الله تعالى شرط العلم كمقوم أساسي ومعلم رئيس لها فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٢).

وما أعنيه بالعلم هنا هو العلم الشرعي الذي تتلقاه، من بطون الكتب أو من أفواه العلماء، سواء أكان هؤلاء العلماء من الرجال أو النساء. وفي عصرنا هذا يسهل كثيرًا أن تتلقى المرأة العلم من أفواه العلماء، سواء عن طريق المحاضرات المتخصصة في المساجد أو المراكز الإسلامية، أو بعض الفضائيات المتخصصة، أو معاهد إعداد الدعاة، أو الجامعات الإسلامية عن طريق التعليم عن بعد أو التعليم الالكتروني، أو الأشرطة والأقراص المدمجة "CD"، أو غير ذلك من الكتب العلمية والمراجع المتاحة والمتيسِّرة، وكل تلك الوسائل متاحة -ولله الحمد- ولها دور كبير في توجيه المجتمع إلى ما فيه الخير والصلاح، إذا استعملت في ذلك.

ولماذا العلم؟

لأن العلم حصانة عن التردِّي والانحراف وراء تيارات قد تبهر أضواؤها من لا تعرف السبيل الحق، فتنجرف إلى الهاوية باسم التجديد والتحضر الزائف، والتعليم اللازم للمرأة، تفقهًا وأساليب دعوية، مبثوث في الكتاب والسنة. ومما تحتاج إليه المرأة في أمور حياتها ليس مجاله التعلم في المدارس فحسب، وإنما يمكن تحصيله بكل الطرق المشروعة في المساجد، وفي البيوت، وعن طريق الجيران، وفي الزيارات المختلفة... وقد قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام لا يفقِّهون جيرانهم ولا يعلِّمونهم ولا يعظونهم ولا يفهمونهم؟! ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله لَيُعلَّمن

(١) سورة محمد، آية: [١٩].
(٢) سورة آل عمران، آية: [٧٩].

قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وَلَيتَعلَّمنَّ أقوام من جيرانهم ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة»[1].

إذن فلا بد لصلاح المرأة من العلم؛ لأنه لا صلاح إلا بالعلم، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

فلا عجب إذن أن نجد الإسلام يحرص على تعليم المرأة، وأن يخصص الرسول ﷺ للنساء أيامًا يجتمعن فيها، ويعلمهنَّ مما علمه الله، إضافة إلى الأيام التي يحضرن فيها مع الرجال، ليتزودن من العلم بما يخصهنَّ، ويتعلق بشئونهنَّ، مما ينفردن به عن الرجال، بمقتضى تكوينهنَّ الجسدي والنفسي.

وقد بلغت عندهنَّ الجرأة الأدبية الطيبة أن يطلبن ذلك من الرسول ﷺ، فاستجاب لهنَّ صلوات الله عليه.

يروي البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»[3].

لذلك كان تعليمهنَّ ما يخصهنَّ وحل مشكلاتهنَّ، لابد فيه من تخصيص مجالس لهنَّ تعالج فيها أمورهنَّ، وتوجه لهنَّ فيها الأحكام والمواعظ بحسب خصائصهنَّ النفسية والفكرية والخلقية والاجتماعية، وبحسب مسئوليتهنَّ في الحياة، داخل أسرتهنَّ وخارجها، ولكل هذه الأمور طالبت هذه المرأة بتخصيص أيام للنساء يتلقين فيها ما يخصهنَّ من معارف دينية، ومن أجل ذلك استجاب لها الرسول صلوات الله عليه.

وهذا هو الحل الذي يتم فيه تعليم النساء، وإخراجهنَّ من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، حتى يؤدين رسالتهنَّ في الحياة على أحسن وجه وأفضله، وحتى يحملن مسئوليتهنَّ كما يجب أن يحملنها، مع المحافظة على عفافهنَّ وأخلاقهنَّ، وعدم قذفهنَّ إلى مجتمع مختلط تسرع إليه مفاسد المجتمعات المختلطة، وتشب فيه نيران الشهوات العارمة، التي تنتشر معها المعاصي والآثام ومفاسد كثيرة أخرى.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٦٤/١) قال الهيثمي: فيه بكير بن معروف قال البخاري: ارم به، ووثقه أحمد في رواية وضعفه في أخرى، وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به، انظر: كنز العمال: ح٢٤٩٣٤، جامع الأحاديث: (٣٢/ ٢٩١) أخرجه ابن عساكر (٥٨/٣٢). وانظر: الجامع الكبير للسيوطي: (١/ ٢٠٦٩٦).

(٢) سورة فاطر، آية رقم: [٢٨].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء، ج٤، ص: ٢٠٢٨، ح٢٦٣٣.

لأنّ العلم الصحيح هو الوسيلة الأولى التي لا بد منها لإصلاح كل مجتمع، رجاله ونسائه، كباره وصغاره.

ولما كانت النساء المسلمات في الصدر الإسلامي الأول متلهفات لمعرفة أمور دينهنَّ، وتبين مشكلاتهنَّ الخاصة، فقد تبادرن إلى مجالس الرسول ﷺ الخاصة بهنَّ، فاجتمعن، وأتاهنَّ النبي ﷺ في المواعيد المحددة، فعلمهنَّ مما علمه الله، وبيَّن لهنَّ ما بيَّن، وسألنه عن مسائل وأجابهنَّ صلوات الله عليه.

ولما كان في صحابيات الأنصار جريئات في السؤال عمَّا يتعلق بأحوال النساء وخصائصهنَّ، أثنت عائشة أم المؤمنين عليهن بقولها: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»(١).

وعلى هذا المستوى الرفيع كانت سياسة الإسلام التعليمية للنساء، فهل بعد تبيان هذه الحقائق وجه لشبهات وأقاويل أعداء الإسلام في موضوع تعليم المرأة، إذ يحاولون أن يصوروا الإسلام بغير صورته الحقيقة؟.

وهل بعد هذه التسوية التامة بين الرجال والنساء في طريقي العلم والعمل يظل رغاء المشوهين لصورة الإسلام الرائعة يؤذي الأسماع بما تنفر منه الطباع؟

والمرأة في الحقيقة تعلم الكثير خاصة ما يتعلق بزينتها ومهنتها وملابسها وغير ذلك، فحريٌّ بها أن تتعلم أمور دينها سواء بالدراسة النظامية، أو بما يشابهها مثل: معاهد إعداد الدعاة، والمراكز الثقافية التابعة لوارة الاوقاف المنتشرة في كثير من البلاد.

وإنّ النَّاظر في تاريخ الإسلام العظيم في العصور الأولى خاصة تلك الحقبة المباركة عصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم ومن تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم ليرى نماذج من المؤمنات الصالحات المصلحات قد برزن في مجال العلم والتعليم بل وبعضهن فاق الرجال بل وأضحى الرجال تلاميذ يأخذون عنهن العلم والسلوك.

فهذه أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها تقدم لنا نموذجًا رائعًا في الفقه والحديث، وتنظم الشعر أيضًا، فعن هشام بن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحدا أعلم بالحلال و الحرام و العلم و الشعر و الطب من عائشة أم المؤمنين)(٢).

وقال أبو موسى الأشعري: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا)(٣).

وقال الزهري: (لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علمًا) (١).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الحيض، باب اسْتِحْبَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فِي مَوْضِعِ الدَّمِ، ج١، ص٢٦٢، ح ٣٣٢.

(٢) المستدرك: لأبي عبد الله الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة، باب تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ج٤، ص١٢، رقم ٦٧٣٣، دار الكتب العلمية – بيروت- ط١/ ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٣) الإصابة، ج٨، ص: ١٨.

وقد ذكر البلاذري في «فتوح البلدان»: أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى الشفاء العدوية، فلما تزوجها النبي ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة [٢].

وهذه أم الدرداء الصغرى «هجيمة بنت حيي الوصابية» روت علمًا جمًّا عن زوجها أبي الدرداء وعن سلمان الفارسي وعن عائشة وعن أبي هريرة؛ وعرضت القرآن على أبي الدرداء، واشتهرت بالعلم والعمل وكانت تقية زاهدة، عاشت طويلاً حتى أدركت خلافة عبد الملك بن مروان، وكان مرة جالسًا في صخرة بيت المقدس وأم الدرداء جالسة معه حين نودي لصلاة المغرب فقام وقامت تتوكأ عليه حتى دخل بها المسجد وكانت عالمة فقيهة يجلس إليها الرجال فيقرءون عليها وكان عبد الملك بن مروان يستمع إليها [٣].

وهذه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي الحنفي صاحب كتاب «تحفة الفقهاء» حفظت التحفة فكانت فقيهة، طلبها كثير من الرجال فلم يزوجها والدها، وعندما صنَّف أبو بكر الكاساني كتابه «بدائع الصنائع» وهو شرح التحفة عرضه على شيخه -أبيها- ففرح به كثيرًا وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك.

فقالوا: شرح تحفته فزوجه ابنته، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها فلما تزوجت صاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها [٤].

وهذه عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة، تربية عائشة، وتلميذتها، كانت عالمة فقيهة، حجة، كثيرة العلم، حدثت عن عائشة وأم سلمة. قال القاسم بن محمد لابن شهاب: (يا غلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى. قال: عليك بعمرة، فإنها كانت في حجر عائشة. قال: فأتيتها فوجدتها بحرًا لا ينزف) وذكرها ابن المديني ففخم أمرها، وقال: (عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات). وقال ابن حبان: (كانت من أعلم الناس بحديث عائشة). وقال عمر بن عبد العزيز: (ما بقي أحد أعلم بحديث عائشة من عمرة)، وحديثها كثير في دواوين السنة[٥].

وحكي عن أشهب أنه كان في المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأنه اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز فأتنا نعطكِ

---

(١) المستدرك: لأبي عبد الله الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة، باب تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ج٤، ص١٢، رقم ٦٧٣٤ ، قال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

(٢) الشفاء بنت عبد الله العدوية، كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وهي من المهاجرات الأول، كان عمر يقدمها في الرأي، ويرعاها، ويفضلها، وربما ولاها شيئًا من أمر السوق. انظر: فتوح البلدان - (٣/ ٥٨٠) و الإصابة (٧/٧٢٧، ٧٢٨) وتربية الأولاد في الإسلام (١/٢٧٧)، وانظر: المجموع (٩/٥٥). الوافي بالوفيات: (٥/ ٢٠٩).

(٣) أسد الغابة: (٣/ ٤٣٧) البداية والنهاية، (٩/ ٥٨) سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرناءوط، (٤/ ٢٧٧).

(٤) طبقات الحنفية: (٢/ ٢٤٤) وانظر: الفوائد البهية للكنوى ١٥٨.

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/ ١١٤) عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، محمود الأرناءوط، الناشر: دار ابن كثير، سنة النشر: ١٤٠٦هـ، مكان النشر: دمشق، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، (١/ ٩٣).

الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز، فقال لها: ولم؟ فقالت: لأنه بيع طعام بطعام غير يد بيد، فسأل عن الجارية فقيل له: إنها جارية الإمام مالك بن أنس(١).

وهذه كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية (كانت ركنًا ركينًا للحديث، ويحضر دروسها العلماء الكبار كالمحدث الخطيب البغدادي، والمحدث السمعاني. جاورت بمكة وروت صحيح البخاري عن الكُشْمِيْهَنِي حتى أن محدث هراة أبا ذر -رحمه الله- قد وصى الطلبة أن لا يأخذوا الجامع الصحيح إلا عنها، وروايتها أصح روايات البخاري، وكانت عالمة تضبط كتبها وتقابل نسخها ورحلت مع والدها في طلب العلم وما تزوجت، وكانت ذا فهم ونباهة. ولم ترض أن يروي عنها الخطيب الصحيح دون أن تقابل معها نسخته، وذلك بأن تقرأ عليه ثم يقرأ عليها وهي في خدرها من وراء حجاب، فقرأ عليها الصحيح في خمسة أيام(٢).

ومن العالمات المجتهدات والمفتيات: أم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت النبي ﷺ، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله ﷺ، قال أبو رافع: إنها أفقه امرأة في المدينة، وليلى بنت قائف، وأسماء بنت أبي بكر، وأم شريك بنت ثويب، وأم الدرداء الكبرى، وعاتكة بنت يزيد، وسهلة بنت سهيل، وفاطمة بنت قيس، وأم سليم، وأم أيمن(٣).

وقد عقد ابن سعد جزءًا من كتاب «الطبقات الكبرى» لراويات الحديث عن النساء أتى فيه على نيف وسبع مائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ أو عن الثقات من أصحابه، وروى عنهن أعلام الدين وأئمة المسلمين(٤).

وهكذا نرى أن العلم لم يكن يوما غائبا عن المرأة المسلمة في مراحل نهضة الأمة، بل كان من أبرز دعائم النهضة الفردية والجماعية، ومن أهم مدارج السالكين إلى إرضاء رب العالمين.

وما كان تميّز نساء المسلمين -في القرون الأولى من الإسلام وما تلاها- في العلاقة بربهن الكريم إلا بعد تحصيل العلم والاستزادة منه؛ فبه تورث الخشية في القلب، ويزداد العبد به قربًا من الربّ العليّ جلّ في عُلاه.

(١) الوافي بالوفيات، (٤/ ٢٢٦)، وفيات الأعيان، (١/ ٢١٩).
(٢) الوافي بالوفيات (٧/ ٢٧٨)، تاريخ بغداد (٣/ ١٢٦)، الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٥).
(٣) أسد الغابة (٣/ ٣٦٠) الروض الأنف في شرح غريب السير (٢/ ٩٨) سير أعلام النبلاء، تحقيق الأرناءوط (٣/ ٢٠١).
(٤) الطبقات الكبرى، لمؤلفه: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (٢٣٠ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط١/١٩٦٨م، دار صادر، بيروت،.

المبحث الثاني: عبادةٌ تَصِلُهَا بِرَبِّها

إن الربّانيّة ليست لقبًا يُمْنَح أو ادّعاء يُطْرَح، ولكنها واقع عملي علميّ تطبيقيّ، وأعلى درجات تطبيقه إنما تكون في الجانب العبادي فهو مفتاح الجوانب الأخرى، لذا كانت العبادة منطلقًا هامًّا من منطلقات الربانية، ومعلمًا بارزًا من معالمها، وإذا غابت ربانية العبادة فلن تصح في أي جانب آخر.

فماذا يفيد العبد إذا كان صاحب منصب أو جاهٍ أو سلطانٍ، أو عنده من المال ما عندَه، وهو بعيدٌ عن ربه تعبدًا وقربًا وتديّنًا.

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام نموذجًا فريدًا في هذا الجانب، بل كانت تسبق الرجال أحيانًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ المسجد فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ (أي: أنها تصلي فإذا فَتَرَتْ تعلقت به حتى تواصل الصلاة).

فقال النبي ﷺ: «لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» وفي روايةٍ: قالوا: زيْنَبُ تُصَلِّي، فإذا كَسِلَت، أو فَتَرَتْ أمْسَكَتْ به، فقال: «حُلُّوهُ، ليُصلِّ أحدُكُم نشاطَهُ، فإذا كَسِلَ أو فتر فليقعد»[(١)].

وقال عروة: كنت إذا غدوت -يعني: خرجت في الصباح- أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها، فأسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح -أي: تصلي النافلة، ولعلها كانت تصلي الضحى والله أعلم- وتقرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾[(٢)] فتدعو وتبكي وترددها.

يقول عروة: فقمت حتى مللت القيام -بمعنى أنه وقف ينتظرها حتى ملَّ القيام والوقوف- فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في: ١٩ كتاب التهجد: ١٨ باب ما يكره من التشديد في العبادة، ج: ١/، ص: ٥٤٢ حديث رقم: ٧٨٤.

(٢) سورة الطور: آية رقم [٢٧].

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣١) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الناشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩=١٩٧٩، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، وانظر: فتح الباري - لابن رجب - (٤/ ٢٤٧) المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم

وعن الهيثم بن جماز[1] قال: كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا قامت ترش الماء وتنبهني برجلها وتقول: أما تستحي من الله!!! إلى كم هذا الغطيط! قال: فو الله إن كنت لأستحي مما تصنع[2].

وقد انطلقت في سلوكها هذا مع زوجها من قول النبي ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امرأة قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ في وَجْهِهِ الْمَاءَ»[3].

وهذه امرأة صالحة تسمى "عجردة"[4] كانت تحيي الليل، وكانت مكفوفة البصر، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون:

"إليك قطع العابدون دجى الليالي، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين، وأن تُلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أرحم الرحماء، وأعظم العظماء، وأكرم الكرماء، يا كريم، ثم تخر ساجدة فيُسمع لها وجبة (صوت)، ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر"[5].

وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة [6] فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء، فقلت لصاحب لي: لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها، فقال: أنت وذاك، قال: فأتينا، فقلت لها: لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئًا فكان لك أقوى على ما تريدين، قال: فبكت، ثم قالت: والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي دمًا حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي، وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء، فلم تزل تردد وأنى لي بالبكاء حتى غُشي عليها[7].

الدمشقي الشهير بابن رجب، دار النشر: دار ابن الجوزي –السعودية، الدمام -١٤٢٢هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

(١) الهيثم بن جمّاز، البصريّ، البكّاء، الحنفيّ، ويقال: هو كوفّي، روى عن كثير من أهل الحديث، وكان يقص: بالبصرة عرف بالبكاء لكثرة بكائه وعبادته، قال أبو حاتم بن حبان: الهيثم بن جماز كان من العباد البكائين ممن غفل عن الحديث والحفظ واشتغل بالعبادة حتى كان يروي المعضلات عن الثقات توهما فلما ظهر ذلك منه بطل الاحتجاج به. انظر: تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - (١٠/ ٤٩٩)وانظر الأنساب للسمعاني - (١/ ٣٨١) الطباعة: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، الناشر: دار الجنان ٠

(٢) تعظيم قدر الصلاة ج٢، ص: ٨٣٥ المؤلف: محمد بن نصر: ر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله الناشر: مكتبة الدار -المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢، رقم ٧٤٠٤)، وأبو داود (٣٣/٢، رقم ١٣٠٨)، والنسائي (٢٠٥/٣، رقم ١٦١٠)، وابن ماجة (٤٢٤/١، رقم ١٣٣٦)، والحاكم (٤٥٣/١، رقم ١١٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن حبان (٣٠٦/٦، رقم ٢٥٦٧)، والبيهقي (٥٠١/٢، رقم ٤٤١٩). وأخرجه أيضًا: ابن خزيمة (١٨٣/٢، رقم ١١٤٨).

(٤) من أهل البصرة من أرباب المجاهدات، ذكر سيار عن جعفر بن سليمان، قال: سمعت نساءنا أمي أو غيرها تقول لم تفطر عجردة العمية ستين سنة ولم تنم بالليل إلا هدوه، وكانت إذا، صحت قالت: أوه قطع بنا النهار عن مناجاة سيدنا، وردنا إلى ما نستحقه من كلام المخلوقين سماعًا وقولاً٠ طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات - (١/ ٣٩٨) أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، سنة الوفاة ٣/شعبان/٤١٢هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٩هـ ١٩٩٨م: بيروت.

(٥) إحياء علوم الدين ج٤، ص: ٤١٤ المؤلف: أبو حامد الغزالي، الناشر: دار لمعرفة – بيروت.

(٦) كانت أمة سوداء كثيرة العبادة روي عنها كلمات حسان، وقد سألها الفضيل بن عياض الدعاء فقالت: أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك؟ فشهق الفضيل ووقع مغشيًّا عليه، البداية والنهاية - (١٠/ ١٧٧).

(٧) إحياء علوم الدين ج٤، ص: ٤١٤.

فهذه الصلة الوثيقة بالله تعالى شوقًا وخوفًا كانت سمتًا للمرأة الصالحة على مدار الأزمنة والعصور فعن عطاء بن المبارك قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يقال لها بردة، وكانت تقوم الليل فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوتٍ لها حزين: «هدأت العيون، وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوت بك يا محبوب أفتراك تعذبني وحبك في قلبي، لا تفعل يا حبيباه»(١).

وهذا الحب جعلها تصمد في عبادتها لدرجة لا يتخيلها الكسالى والمسوفون، فعن أبي خلدة قال: ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية، إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصفقها الرياح يمينًا وشمالاً، وكانت أم حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة، وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده(٢).

وعن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبة العدوية(٣) إذا حلت العتمة قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، ثم قالت: إلهي! قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك، ثم تُقْبِلُ على صلاتها، فإذا طلع الفجر قالت: إلهي! هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أم رددتها علي فأعزى، وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت -أي: لو تركتني ما غادرت الباب- لما وقع في نفسي من جودك وكرمك (٤).

وحكي أن عابدة كانت تصلي بالليل لا تستريح، وكانت تقول لزوجها: (قم، ويحك إلى متى تنام؟ قم يا غافل، قم يا بطَّال، إلى متى أنت في غفلتك؟ أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، بِرَّ أمك، صل رحمك، لا تقطعهم، فيقطع الله بك)(٥).

وهكذا فإن من إمارات حسن صلة المرأة المسلمة بالله تعالى تمسكها بدينها والتضحية في سبيله وتحمل الأذى، والثبات على أمره ونهيه سبحانه، وهذه أم شريك تضرب لنا أروع المثل في التضحية والفداء لهذا الدين حيث أسلمت "أم شريك" غزية بنت جابر هي وزوجها فهاجر زوجها مع أبي هريرة وتركها، فجاء أهل زوجها فسألوها إن كانت على دينه فأقرت بإسلامها، فأقسموا على تعذيبها عذابًا شديدًا، فارتحلوا من ديارهم وحملوها على شر ركابهم وأغلظه ثم أطعموها خبزًا وعسلاً ومنعوا عنها الماء وتركوها في الشمس ثلاثة أيام حتى ذهب عقلها وسمعها وبصرها، وفي اليوم الثالث طلبوا منها

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٣٦) ، تحقيق: محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، ط٢/ ١٣٩٩ = ١٩٧٩م، دار المعرفة، بيروت.
(٢) صفة الصفوة (٤/ ٣٨)
(٣) من كبار العارفات وكانت من أهل البصرة، طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات (١/ ٤١٣).
(٤) صفة الصفوة (٤/ ٣٢).
(٥) صفة الصفوة (٤/٤٣٧).

ترك دينها فلم تفعل غير الإشارة بإصبعها إلى السماء بالتوحيد ولا تعي ما يقولون من شدة الإعياء والإغماء [١].

وهاجرت أم أيمن إلى المدينة ماشية ليس معها زاد [٢].

وقد أسلمت امرأة قيس بن الخطيم [٣] وكان يقال لها حواء، وكان يصدها عن الإسلام، ويعبث بها وهي ساجدة، فيقلبها على رأسها، وكان رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة يخبر عن أمر الأنصار فأخبر بإسلامها وبما تلقى من قيس، فلما كان الموسم أتاه النبي ﷺ فقال: إن امرأتك قد أسلمت وإنك تؤذيها فأحب أنك لا تتعرض لها [٤].

كما ضربت في الزهد مثلاً وسبقت بذلك نظيراتها اللاتي تكالبن على الدنيا ولهثن خلف متاعها وزينتها وزخرفها، فهذه ميمونة بنت الأقرع [٥] أرادت أن تبيع غَزْلاً لها فقالت للغزّال: إذا بعت هذا الغزل فقل: إني ربما كنت صائمة فأرخى يدي فيه! ثم ذهبت ورجعت فقالت: ردَّ عليَّ الغزل أخاف أن لا تُبيّن للنّاس هذا!! [٦].

وربانية المرأة المسلمة في الجانب العبادي تتمثل أيضًا في تحققها بصفات المؤمنات التي وردت في القران الكريم، ومن أبرزها: القنوت والحفظ، حيث وصف الله تعالى الصالحات بهاتين الصفتين العظيمتين اللتين لا يتحقق لهن الصلاح بدونهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾[٧].

أي: أن صلاح المرأة يتمثل أولاً: في أن تكون قانتة، وثانيًا: في أن تكون حافظة للغيب.

ويعلّق الإمام الرازي على هاتين الصفتين فيقول:

﴿قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ فيه وجهان: الأول: قانتات، أي مطيعات لله.

﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: قائمات بحقوق الزوج، وقدم سبحانه قضاء حق الله ثم أتبع ذلك بقضاء حق الزوج.

الثاني: أن حال المرأة إمَّا أن يعتبر عند حضور الزوج أو عند غيبته، أما حالها عند حضور الزوج فقد وصفها الله بأنها قانتة، وأصل القنوت دوام الطاعة، فالمعنى: أنهن قيمات بحقوق أزواجهن، وظاهر هذا إخبار، إلا أن المراد منه الأمر بالطاعة.

---

(١) ابن حجر الإصابة ج٧، ص: ٢٣٥ وابن سعد في الطبقات الكبرى ج٨، ص: ٣٢٤.
(٢) ابن سعد في الطبقات ٣٦٢/٨.
(٣) شاعر مشهور من الأوس دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام وتلا عليه القران فقال: إني لأسمع عجبًا، فدعني انظر: في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فمات قبل الحول، الإصابة ٥/ ٤١٧.
(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى ج٨ ٣٢٣.
(٥) عابدة زاهدة كتبت عن الإمام أحمد بن حنبل أشياء من العلم واشتهرت بحرصها الشديد على تحري الحلال وطيب المطعم، «أعلام النساء» لعمر رضا كحالة (١٣٨/٥).
(٦) أعلام النساء رضا كحالة ١٣٨/٥.
(٧) سورة النساء، آية رقم: [٣٤].

واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، لأن الله تعالى قال: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة، فهي لا بد وأن تكون قانتة مطيعة.

قال الواحدي رحمه الله: لفظ القنوت يفيد الطاعة، وهو عام في طاعة الله وطاعة الأزواج، وأما حال المرأة عند غيبة الزوج فقد وصفها الله تعالى بقوله: ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.

واعلم أن الغيب خلاف الشهادة، والمعنى كونهن حافظات بموجب الغيب، وذلك من وجوه: أحدها: أنها تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها، ولئلا يلتحق به الولد المتكون من نطفة غيره، وثانيها: حفظ ماله عن الضياع، وثالثها: حفظ منزله عمَّا لا ينبغي[1].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «خير النساء إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها»[2].

فمن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها، أن تكون.. قانتة.. مطيعة. والقنوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاضلة! ومن ثم قال: ﴿ قَانِتَاتٌ ﴾. ولم يقل طائعات؛ لأن مدلول اللفظ الأول نفسي، وظلاله رخية ندية.. وهذا هو الذي يليق بالسكن والمودة والستر والصيانة بين شطري النفس الواحدة. في المحضن الذي يرعى الناشئة، ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله وإيقاعاته!

ومن طبيعة المؤمنة الصالحة، ومن صفتها الملازمة لها، بحكم إيمانها وصلاحها كذلك، أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها في غيبته -وبالأَوْلَى في حضوره -فلا تبيح من نفسها في نظرة أو نبرة ما لا يباح إلا له هو -بحكم أنه الشطر الآخر للنفس الواحدة.

وما لا يباح، لا تقرره هي، ولا يقرره هو: إنما يقرره الله سبحانه: ﴿ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾. فليس الأمر أمر رضاء الزوج عن أن تبيح زوجته من نفسها -في غيبته أو في حضوره -ما لا يغضب هو له. أو ما يمليه عليه وعليها المجتمع! إذا انحرف المجتمع عن منهج الله[3].

إن هنالك حكمًا واحدًا في حدود هذا الحفظ، فعليها أن تحفظ نفسها ﴿ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾.. والتعبير القرآني لا يقول هذا بصيغة الأمر، بل بما هو أعمق وأشد توكيدًا من الأمر. إنه يقول: إن هذا الحفظ بما حفظ الله، هو من طبيعة الصالحات، ومن مقتضى صلاحهن!

---

(١) مفاتيح الغيب تفسير الرازي - (ج ٥/، ص: ١٩٣).
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ج٥، ص: ٣١٠ حديث رقم ٨٩٦١، وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (٦٠/٥). وأخرجه أيضًا: الديلمى (١٨١/٢، رقم ٢٩١٢)، وقال الألباني: حسن. انظر: السلسلة الصحيحة ج٤، ص٤٥٣، ح ١٨٣٨.
(٣) في ظلال القرآن (ج ٢٢١/٢).

وعندئذ تتهاوى كل أعذار المهزومين والمهزومات من المسلمين والمسلمات. أمام ضغط المجتمع المنحرف. وتبرز حدود ما تحفظه الصالحات بالغيب: ﴿ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ مع القنوت الطائع الراضي الودود. .

فأما غير الصالحات.. فهن الناشزات. (من الوقوف على النشز وهو المرتفع البارز من الأرض)[1] وهي صورة حسية للتعبير عن حالة نفسية. فالناشز تبرز وتستعلي بالعصيان والتمرد[2].

وهكذا يتبين لنا أن المرأة المسلمة ينبغي أن تتحقق بالصفات القرآنية من الطاعة والحفظ، وهما صفتان لا تكون المرأة المسلمة صالحة ولا مصلحة ولا علاقة لها بالربانية إلا إذا اتصفت بهما، فغياب الطاعة غياب الصلاح، وغياب الحفظ للزوج والأهل والفرج والمال والدين والخلق وكل ما أمر الله بحفظه غياب للإصلاح، وغيابهما معا غياب للربانية، وذلك لأن صلاح النفس هو قاعدة الإصلاح الكبرى ومنطلقه الرشيد.

وقد ذكر القران هاتين الصفتين ضمن جملة من الصفات الأخرى التي ينبغي أن تراجع المرأة حركة حياتها وفق مقتضيات هذه الصفات، وهي المذكورة في قول الله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

وهذه الصفات الكثيرة التي جُمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة. فهي الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيرًا.. ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة.

ولعل صفات المرأة الصالحة التي يرضى الله عنها هي المجموعة في صفات النساء اللاتي اختارهن الله لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾[4].

وخلاصة القول: إن علاقة المرأة الوثيقة بربها من أهم وأبرز ملامح الربّانيّة التي ننشدها لتتحقق المرأة المسلمة بمهمتها العظيمة وواجباتها القويمة فتقدم النموذج الإسلامي التي تتوق البشرية إليه لتنهض من كبوتها وتعود عن غيها وانحرافها.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٦٧٨).
(٢) المصدر السابق (ج: ١٢١/٢).
(٣) سورة الأحزاب، آية رقم: [٣٥].
(٤) سورة التحريم، آية رقم: [٥].

المبحث الثالث: رِعَايةٌ تَحْفظُ أُسْرَتَها

إنَّ ربانيـة المـرأة المسـلمة تظهـر جليـة مـن خـلال إطلالـة علـى مهمتهـا الأصـيلة فـي ميـدانها الأساسي، وفي محراب عبادتها وموطن جهادها في بيتها وأسرتها مع زوجها الذي هو جنتها ونارها، ومع أولادها الذين الذي هم أمانتها وموطن رعايتها.

قبل أن تكون الربّانيّة نشاطا خارجيا أو عملا اجتماعيا فهي حركة حياة وسلوك في محيطها القريب وواجبها العيني الذي لا يغني عنها فيه أحد، بل وقد لا تقبل ربانية الخارج إذا فشلت ربانية الداخل ففاقد الشيء لا يعطيه، بل ولا يمكن للربانية أن تتحقق في علاقتها المجتمعية إلا إذا تحققت في علا قتها الأصيلة بإسرتها الصغيرة.

لذا فهذه إطلالة على معالم ربانيتها في هذا المجال

أولاً: معالم ربانيّة المرأة مع زوجها

يعتبر الزوج من أهم مجالات القربات في حياة المرأة المسلمة، ومن أعظم ميادين جهادها، ولم لا وهو جنتها ونارها، وطريقها إلى رضا ربها، والفوز بجنته سبحانه، وإن كان المثل القديم يقول: وراء كل عظيم امرأة، فإننا نقول: وراء كل رجل صالح زوجة صالحة، ووراء كل بيت صالح امرأة صالحة، ووراء كل جيل صالح أمهات صالحات.

والمرأة الصالحة مع زوجها متبذلة له، خاملة في غيبته، تبحث عن كل ما يرضيه، تتجنب كل ما يؤذيه، تعينه على طاعة الله تعالى، تشاركه في الخير وتعينه عليه، تحفظه في غيبته، تستجيب له فيما أحل الله له، وفية له حتى بعد مماته.

وتتمثل معالم الربّانيّة في العلاقة مع الزوج فيما يلي:

١. حسن التبعل له كزوج

فالعلاقة الخاصة بين المرأة وزوجها قوام سعادتهما، وضمان أنسهما، وراحة بالهما، لذا فإن المرأة المسلمة تبذل قصارى جهدها في إسعاد زوجها والاستجابة الدائمة له فيما أحل الله لهما، ولا تهمله، أو تنشغل عنه، أو تمتنع منه، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانًا عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»[(١)] وَلِمُسْلِمٍ: «كَانَ الَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»[(٢)].

بل الأَوْلَى في حقِّها أن تتقرب إليه دون الطلب، وأن تتهيأ لذلك وتتجمل.

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب : النكاح ، باب إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها (١٩٩٣/٥٣، رقم ٣٠٦٥) وأخرجه أحمد (٣٨٦/٢، رقم ٩٠٠١).

(٢) أخرجه مسلم كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها رقم ١٤٣٦، ص: ١٦٤٠ (عن أبي هريرة).

وإنه لمن المؤسف أن بعض النساء تتجمل لخروجها –وقد نُهيت عن ذلك– أكثر مما تتجمل لزوجها –وقد أُمرت به– وكل ذلك يدل على جهل بالمسئولية، أو عدم اتباع لشرع الله.

إن لقيام المرأة بهذا الأمر، وحسن الأخذ به أثرًا كبيرًا على استقرار البيت، حيث عفة الزوج ورضاه بما عنده وعدم شعوره بالإحباط والحرمان، ومن ثم الاستقرار النفسي.

وما أكثر الرجال الذين يعيشون حياة غير مستقرة بسبب شعورهم بالحرمان؛ لأن المرأة لم تعر هذا الجانب اهتمامًا، أو لم تعرف كيف تقوم به حق القيام، فلتدرك المرأة دورها في ذلك، ثم لتفكر وتبحث كيف تؤديه.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة: الودود، الولود، الغيور على زوجها، التي إذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول: والله لا أذوق غمضًا حتى ترضى عني، هي في الجنة، هي في الجنة، هي في الجنة»[1] ومعنى الجملة الأخيرة "غمضًا: أي لا أنام ولا يستريح لي بال".

وقد سئل أعرابي عن أحسن النساء؟ فقال: أفضل النساء: أصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئا أجادته، التي تلتزم بيتها، ولا تعصي زوجها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود وكل أمرها محمود [2].

٢. تحترم زوجها وتطيعه:

إن من أوليات الأولويات في التعامل مع الزوج: الاحترام والطاعة فهما قوام السعادة ومفاتيح القلوب قالت امرأة سعيد بن المسيّب: ما كُنا نكلّم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم أصلحك الله .. عافاك الله!! [3].

وطاعتها لزوجها هي أساس الاستقرار، لأن القوامة للرجل، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[4] فلا تتصور قوامة بدون طاعة، والبيت مدرسة أو إدارة، فلو أن مديرًا في مؤسسة أو مدرسة لديه موظفون لا يطيعونه، هل يمكن أن يسير العمل؟! فالبيت كذلك. إن طاعة الزوج واجب شرعي تثاب المرأة على فعله، بل نجد طاعة الزوج مقدمة على عبادة النفل، قال ﷺ: «لاَ تَصُومُ المرأة وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»[5] وفيه إشارة إلى أهمية طاعة الزوج حتى قدمت على عبادة صيام النفل.

---

(١) أخرجه: الطبراني في الكبير (١٤٠/١٩، رقم ٣٠٧)، وفي الأوسط (١١/٦، رقم ٥٦٤٨). قال الهيثمي: (٣١٢/٤): فيه السري بن إسماعيل، وهو متروك، النسائي في سننه الكبرى ج: ٥/، ص: ٣٦١ حديث رقم: ٩١٣٩، وقال الألباني: للحديث شواهد يتقوى بها، و أرى أنه لا بأس به في الشواهد. انظر: السلسلة الصحيحة، ج١، ص٢٨٦، ح٢٨٧.

(٢) أخبار النساء (١/ ١).

(٣) حلية الأولياء: ٤٣٠، (٥/ ١٩٨).

(٤) سورة النساء من آية رقم: [٣٤].

(٥) صحيح البخاري كتاب النكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا، ج٧، ص: ٣٧ ٠رقم، ٤٨٩٦.

لذا يحرص الإسلام على تقرير مكانة الزوج لأنها الأساس، يقول الرسول ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المرأة أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١).

بل الإشعار بمكانته حتى بعد وفاته «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...»(٢).

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي من طريق حُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّتَهُ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَلَمَّا فَرَغَتْ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟ » قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ؟ » قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: «انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ»(٣).

وأخرج البزار والحاكم والبيهقي في «سُنَنِه» عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أخبرني ما حق الزوج على الزوجة، قال:

«مِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ لَوْ سَالَ مَنْخِرَاهُ دَمًا وَقِيحًا وَصَدِيدًا فَلَحِسَتْهُ بِلِسَانِهَا مَا أَدَّتْ حَقَّهُ لَوْ كَانَ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ المرأة أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا لِمَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا»(٤).

وأخرج الحاكم والبيهقي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَأْذَنَ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ كَارِهٌ، وَلاَ تَخْرُجَ وَهُوَ كَارِهٌ، وَلاَ تُطِيعَ فِيهِ أَحَدًا، وَلاَ تُحَشِّنَ بِصَدْرِهِ، وَلاَ تَعْتَزِلَ فِرَاشَهُ وَلاَ تَصْرِمَهُ، فَإِنْ كَانَ هُوَ أَظْلَمُ مِنْهَا فَلْتَأْتِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ فَإِنْ هُوَ قَبِلَ مِنْهَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَقَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهَا وَأَفْلَجَ حُجَّتَهَا وَلاَ إِثْمَ عَلَيْهَا، وَإِنْ هُوَ أَبَى أَنْ يَرْضَى عَنْهَا فَقَدْ أَبْلَغَتْ عِنْدَ اللَّهِ عُذْرَهَا»(٥).

وهكذا تكون ربانيتها في تودها لزوجها واحترامه والاهتمام بشأنه وذاته.

٣. تعينه على طاعة الله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨١/٤، رقم ١٩٤٢٢)، قال الهيثمي (٣٠٩/٤): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضًا: الحاكم (١٩٠/٤، رقم ٧٣٢٥)، وقال:، صحيح على شرط الشيخين. والطبراني (٥٢/٢٠، رقم ٩٠). أخرجه البيهقي (٢٩١/٧، رقم ١٤٤٨١). وانظر الجامع الكبير للسيوطي - (١/ ٩٥٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الطيب للجمعة، ج٣، ص٢٢١، رقم ١٢٨٠.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب طاعة المرأة لزوجها، ج٥، ص٣١٠، رقم: ٨٩٦٢، وقال الهيثمي (٣٠٦/٤): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، والأوسط، ورجاله رجال الصحيح خلا حصين، وهو ثقة، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة، ج٦، ص١١٤، رقم ٢٦١٢ .

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب من تخلى لعبادة الله إذا لم تتق نفسه إلى النكاح، ج٧، ص٨٤، رقم ١٣٢٦٣. وقال الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب، ج٢، ص١٩٦، رقم ١٩٣٥.

(٥) أخرجه الطبراني (١٠٧/٢٠، رقم ٢١٠). قال الهيثمي (٣١٣/٤): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. والحاكم (٢٠٦/٢، رقم ٢٧٧٠) وقال:، صحيح الإسناد. والبيهقي (٢٩٣/٧، رقم ١٤٤٩٢). ومن غريب الحديث: «تخشن»: أى: توغر. «تصرمه»: أى تقاطعه، جامع الأحاديث - (١٧/ ٦٦).

جاء في السير للذهبي عن سُعدى المرّية زوجة طلحة بن عبيد الله قالت: دخلت عليَّ طلحة وهو خاثر[1] فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله ونعم حليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني، فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك! قال: يا غلام، ادع لي قومي فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربع مائة ألف. وفي روايةٍ قال لها: إنك موفقة بنت موفق [2].

الله أكبر كثرة المال غمته، وإنفاقه أراحه، وزوجة تحث زوجها على النفقة في سبيل الله.

وهذه تشارك زوجها البكاء دون أن تعرف علته، فقد بكى عبد الله بن رواحة وبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: بكيت لبكائك! قال: إني قد علمت أني وارد النار، وما أدري أناجٍ منها أم لا؟ [3].

وهذه زوجة أبى الدحداح تعينه على الإنفاق في سبيل الله كما جاء في الحديث (أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ: أعطه إياها بنخلة في الجنة، فأبى، قال: فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي؟ قال: ففعل، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال الرسول ﷺ: كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة، قالها مرارًا. قال فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط، فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها [4].

٤. تتفانى في خدمة زوجها:

إن خدمة الزوج والسعي في كل ما ينفعه ويعود عليه بالسعادة والهناء من أعظم وأهم الواجبات التي ينبغي على المرأة المسلمة أن تضرب فيها بسهمٍ وافرٍ، وألا تدخر فيها جهدًا، وأن تحتسب ذلك عند ربها سبحانه، فهو من أعظم أبواب الطاعات وأعلى درجات القربات.

وفي حديث وافدة النساء عن أسماء بنت يزيد الأنصارية من بني عبد الأشهل: أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، واعلم، نفسي لك الفداء، أنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك، فإذا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وإنَّ الرجل منكم إذا خرج حاجًّا ومعتمرًا أو مرابطًا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: «هل سمعتم

---

(١) خاثر النفس أَي: ثقيلها غير طَيّبٍ ولا نَشِيطٍ، لسان العرب - (٤/ ٢٣٠).
(٢) الطبراني في «الكبير» (١٩٥) وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٨٨، وهو عند ابن سعد ٣/ ١/ ١٥٧ سير أعلام النبلاء - تحقيق الأرناءوط - (١/ ٣٢).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢٣٦) وتفسير الطبري ٣١٠ (دار هجر) - (١٥/ ٥٩٤).
(٤) مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ج٣، ص ١٤٨، رقم ١٢٥٠٤، والمعجم الكبير للطيراني (ج ١٦/، ص: ١٦٥) (١٨٢١٤)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة، ج٦، ص٤٦٣، رقم ٢٩٦٤.

مقالة امرأة قط أحسن من مسائلتها عن أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال:

انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، قال: فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشارًا [١].

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن أعبد قال: قال لي عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبرك عني وعن فاطمة رضي الله عنها، كانت ابنة رسول الله ﷺ وكانت من أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرَّت بالرحى حتى أثّر الرحى بيدها، وأسقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر، فقدم على رسول الله ﷺ بسبي أو خدم، قال: فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فاسأليه خادمًا يقيك حر ما أنت فيه، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فوجدت عنده خدمًا أو خدامًا فرجعت ولم تسأله فذكر الحديث فقال:

«أَلاَ أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ، إِذَا أَوَيْتِ إلى فِرَاشِكِ سَبِّحِي ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَاحْمَدِي ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَكَبِّرِي أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ» فأخرجت رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله مرتين [٢].

وعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنه قالت: تزوّجني الزُبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك، فكنت أعلف فرسه واستقى الماء، وأخِرز غربه، وأعجِن، ولم أكن أُحسن أخبز وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي وهى منى على ثلثي فرسخ [٣].

٥. وفيَّةٌ لزوجها حتى بعد مماته:

فهذه أم الدرداء رضي الله عنها قالت لزوجها أبو الدرداء: إنك خطبتني إلى أبواي في الدنيا فأنكحوني، وإني أخطبك إلى نفسك في الآخرة! فقال: فلا تنكحي بعدى! فخطبها معاوية فأبت![٤].

وعندما سأل زياد ابن أبيه جلسائه: من أنعمُ النّاس عيشةً؟ قالوا: أمير المؤمنين، قال: لا، ولكن رجل مسلم له زوجةٌ مسلمةٌ لهما كفافٌ من العيش، قد رضيت به ورضيّ بها!! لا يعرفنا ولا نعرفه!! إنا إن عرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه، وأتعبنا ليله ونهاره[١].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب في حقوق الأولاد والأهلين، (٤٢٠/٦، رقم ٨٧٤٣)، قال الألباني: ضعيف. انظر: السلسلة الضعيفة، ج٣٦، ص٥٢٤، رقم ٦٢٤٢.

(٢) مسند أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج١/ص: ١٣٦ ح١١٤١وله شاهد في صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ج٣/ص: ١٣٥٨ ح٣٥٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في ك السلام، باب إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق رقم ٢١٨٢ ج٤/ص: ١٧١٦، والبخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الغيرة ج٥، ص: ٢٠٢، رقم ٤٩٢٦.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٨/٧٤.

فهي مع زوجها تعينه على الطاعة وتتعاون معه على الصلاة والصيام والبذل والجهاد وتدفعه إلى الكسب الحلال (اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا من حلال).

٦. لا تخذله ولا تثبطه:

ولكن تزكي فيه روح الجهاد والبذل، فقد هَمَّ رجلٌ من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ عرفته عرفته أكالاً وما عرفته رزاقًا، ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق [٢].

وخطبت رابعة بنت إسماعيل [٣] أحمد بن أبي الحواري، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة، وقال لها: والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي، فقالت: إني لأشغل بحالي منك وما لي شهوة، ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجي فأردت أن تنفقه على إخوانك، وأعرف بك الصالحين، فيكون لي طريقًا إلى الله عز وجل، فقال: حتى أستأذن أستاذي، فرجع إلى أبي سليمان الداراني، قال: وكان ينهاني عن التزويج، ويقول: ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير، فلما سمع كلامها، قال: تزوج بها فإنها ولية لله، هذا كلام الصديقين، قال: فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلاً عمَّن غسل بالأشنان.

قال: وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني، وتقول: اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك، وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة[٤].

٧. حفظ سره وعرضه:

فلا تتعرض للفتنة ولا للتبرج، ولا تتساهل في التعرض للرجال في باب المنزل أو النافذة أو خارج البيت، ولتكن محتشمة عند خروجها. قال ﷺ: «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ»[٥].

إن هذا يعطي صيانة أخلاقية للبيت، وثقة للزوج، وتربية للأبناء على العفة، وأن البيت الذي يحصل فيه شيء من التساهل في أي أمر من هذه الأمور لن يكون سكنًا مريحًا، ولا مكان استقرار،

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح - (١/ ٣٧٧) مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. وانظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي -لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (٢/ ٥٣).

(٢) تفسير روح البيان - (٩/ ٤٢٧) إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر/ دار إحياء التراث العربي، إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (٢/ ٣٤٣).

(٣) رابعة بنت إسماعيل العدوية ١٣٥ هـ، صالحة، مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها. لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر. (الأعلام ٣/ ١٠).

(٤) مختصر تاريخ دمشق - (٣/ ١٦٩).

(٥) ابن ماجة في سننه كتاب النكاح ج٣، ص: ٥٧، والترمذي في سننه قال أبو عيسى هذا حديث حسن، صحيح وقد رواه أبو الأحوص: عن شبيب بن غرقدة، وقال الشيخ الألباني: حسن الجامع الصحيح سنن الترمذي - (٥/ ٢٧٣) المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

ولا عاملاً من عوامل الإصلاح بل سيكون حتمًا عاملاً من عوامل الهدم والتدمير، وسببًا من أسباب التخاذل والخسران.

٨. حفظ المال:

يقول ﷺ: «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»(١). وقال ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»(٢).

وهكذا فالمرأة الصالحة صاحبة رأي سديد تشير عليه بالخير وتحثه عليه وحالها مع زوجها على أنقى ما يكون وأحسن ما يكون وأتقى ما يكون، وبذلك تسعد وتُسعد زوجها وتساهم في الاستقرار الاجتماعي، وتحقق النجاح الأسري ضاربة بذلك المثل العظيم في الصلاح الفاعل والإصلاح المنهجي.

وبالطبع ليست هذه كل واجبات المرأة مع زوجها، فهناك واجبات كثيرة، ولكن ذكرت هذه على سبيل المثال لا الحصر.

ثانيًا: معالم ربانية المرأة مع أولادها

تعتبر المرأة مع أولادها في أهم وأخطر حقول التربية على الإطلاق، فهي أَول مَنْ يتعامل معهم، وأول مَنْ يغرس فيهم وينميهم، وأول مَنْ يثقون به ويرتبطون به، فهي مصدر غذاء مادي ومعنوي، جسدي وروحي، فهي الأرض التي أنبتهم الله فيها ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

وتقوم الأم بواجبها مع أولادها انطلاقًا من مسئوليتها كراعية في بيت زوجها، وكأم رءوم صالحة واعية تفهم دينها فهمًا سليمًا، فإنها تقوم بتربية أولادها تربية إسلامية صحيحة، تربية حقيقية، لها واضحة، ووسائل شرعية، وأهداف سامية، فتربيهم على العقيدة الإسلامية الصحيحة وعلى حسن الخُلُق واستقامة السلوك، إنها إن لم تفعل، وإن لم تنتظم في ذلك سمحت لهذه المشكلات والمتاعب، والمسائل أن تنمو في غير الاتجاه الصحيح، وقد تصل في بعض الأحيان إلى حد الأزمة، أو المشكلة المستعصية على الحل، وإن سارت على هذا النهج المبارك قدمت لنفسها ولأولادها ولأمتها عملاً مجيدًا، وخيرًا عميمًا، وكانت بحق رائدة إصلاح وبناء.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ج١، ص٣٠٤، رقم ٨٥٣.
(٢)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير، ج٥، ص١٩٥٥، رقم ٤٧٩٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل نساء قريش، ج٧، ص١٨٢، رقم ٦٦٢٣.
(٣) سورة النحل، آية رقم: [٧٨].

وهذا الفهم ليس بجديد على نساء الأمّة الفضليات، فقد سطر التاريخ صحائف من ضياء لأمهات صنعن المجد للأمة في كل مجالاتها بحسن تربيتهن لأبنائهن، بل ونجد أن وراء عمَّالقة التاريخ الإسلامي في كل مجال من مجالاته الحربية كانت أو العلمية أو السياسية أو غير ذلك أمهات صالحات مصلحات بذلن الجهد وضحين بكل غالٍ وثمين ليخرجن لنا هذه الكواكب المنيرة التي أضاءت سماء العالم الإسلامي وبيضت صفحات التاريخ.

ومن هذه النماذج الرائعة والقمم السامقة:

أسماء بنت أبي بكر

حيث تضرب لنا المثل الأعلى للأم التي ترشد ابنها إلى الصواب عندما جاء ولدها عبد الله بن الزبير يسألها النصيحة ويقول: (يا أماه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبقَ معي إلا اليسير، ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، فقالت له: إن كنت على حق وإليه تدعو فامضِ له، وإن كنت تريد الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك، فقلت لمّا وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، فكم خلودك في الحياة الدنيا؟ القتل أرحم يا ولدي.

قال عبد الله: هذا والله رأيي يا أماه، ولكني أخاف أن يقتلني أهل الشام وأن يمثلوا بي ويصلبوني فأجابته: يا بني، امضِ لما أنت عليه فماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟!)[1].

إنها الأم الربانية التي تتعالى على عاطفتها لترتقي بنفسها وولدها لتسطر للتاريخ أن صدق المبادىء أعظم من عاطفة الأمومة ، ورجاء رحمة الله أعظم من رجاء البقاء في الدنيا، وموت يرضى الله عنه أفضل من حياة يخسر المرء فيها دينه ودنياه .

أم سفيان الثوري:

أما سفيان الثوري، وما أدراك ما سفيان الثوري؟، إنه الفقيه المحدث العابد الذي يقول فيه الأوزاعي: لم يبق من تجتمع عليه الأمّة بالرضا إلا سفيان[2]، لم يكن إلا تربية أم عظيمة أرضعته العلم والأدب منذ طفولته، فها هي تدفعه لطلب العلم صغيرًا وتقول له: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له ذات مرة: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك [3]. وهنا تتجلى لنا مفاهيم الإسلام وقد تبلورت في ذهن هذه الأم العظيمة فأدركت أن قيمة العلم ليست في جمعه فحسب أوحفظه فقط ، وإنما قيمته أن يتحول الى واقع عملي يمشي على الارض ، فلا قيمة لعلم لايتبعه

(١) الكامل في التاريخ (٦٩/٣) وانظر وفيات الأعيان - (٣/ ٧٢).
(٢) تهذيب الكمال ٢١٧/٣-٢٢١، ومختصر طبقات علماء الحديث ٣٠٩/١-٣١٢.
(٣) صفة الصفوة - (٣/ ١٨٩).

عمل ، ولاخير في حفظ لا ينتج عنه سلوك، فلتتعلم البشرية على يد هذه الأم الصالحة نظام التربية بالأهداف وليس بتعظيم الوسائل لذاتها وضياع الأهداف الأصيلة .

أم الإمام البخاري:

وهذا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل، كان ثمار تربية أم نذرت نفسها لتربية ابنها بعد وفاة زوجها، فقد خططت لابنها أن يكون عالمًا يشار إليه بالبنان، ولكن عائقًا كبيرًا كان يقف أمام تحقيق هذا الحلم العظيم. إن هذا العائق هو كون ولدها ضريرًا منذ صغره فماذا تصنع حتى تستطيع أن ترى ابنها على الصورة التي تريد؟

لقد جدت بالدعاء إلى الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، وبقلبها الرقيق الخاشع أخذت تناجي الله في الليلة الظلماء داعية الحي القيوم أن يرد على ابنها بصره، وفي إحدى الليالي وعندما كانت نائمة إذا بها ترى فيما يرى النائم الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لها: (يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له)[1].

وفي الصباح قامت تنظر إلى ابنها وتحدثه لترى صدق ما رأت. يا للفرحة تغمر قلبها فقد تحقق حلمها ورجع ابنها بصيرًا وبدأ رحلته في طلب العلم، وأول ما ابتدأ بالحج إلى بيت الله الحرام فاصطحب أمه وأخاه معه، وأخذ ينتقل من قطر إلى آخر يعرض نفسه للمخاطر والمشقة في سبيل تتبع رواة الحديث ومتنه حتى ألف كتابه المشهور وجمع فيه ما صحَّ عن رسول الله ﷺ من أحاديث وسمّاه الجامع الصحيح المسند الذي يعد أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل[2].

وهكذا نرى أن الربانية لما تحققت بها الأم الصالحة جعلتها تحسن التخطيط لولدها ، فلم تخطط لأن يكون صاحب مقام دنيوي ، أو مكانة مالية ، وإنما أرادت لابنها أن يكون رائدا على طريق الربانية بالعلم والتعليم ، فلما صدقت الله في مرادها صدقها الله تعالى فأجاب دعوتها.

أم الإمام أحمد بن حنبل :

صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني، وقد وُلد الإمام أحمد في آخر القرن الثاني الهجري، وعاش في بيتٍ فقير، مات أبوه وهو طفل، فتكفلت أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة بتربيته، وهذا دور المرأة يوم أن تكون صالحة، ويوم أن تكون عابدة، ويوم أن تكون مستقيمة، ينشأ أطفالها على لا إله إلا الله، ويحبون الله ورسوله، ويحبون كتاب الله، وينقادون إلى بيوت الله.

---

(١) الوافي بالوفيات - (١/ ٢٣٦).
(٢) انظر: طبقات الحنابلة «١/ ٢٧٤، و «تهذيب الكمال»: ١١٧٠، و«طبقات السبكي» ٢/ ٢١٦، و «مقدمة فتح الباري»: ٤٧٨. وطبقات الشافعية الكبرى، (٢/ ٢١٦).

قال أحمد رحمه الله: فحفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات (١)، حفظ كتاب الله، ففرت الوساوس والشياطين من صدره، فأصبح عابدًا لله.

قال أحمد رحمه الله: كانت أمي تلبسني اللباس، وتوقظني، وتحمي لي الماء قبل صلاة الفجر وأنا ابن عشر سنوات، ثم كانت تتخمر وتتغطى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد؛ لأن المسجد بعيد، ولأن الطريق مظلمة(٢)، فانظروا رحمكم الله إلى المرأة الصالحة.

لقد عاش في هذا الجو، وفي هذا البيت، وكان كل همه أن يعبد الله بكلام الله، وأن يكون عبدًا خالصًا لله، وهكذا الأم الصالحة المصلحة تجتهد لتخرج للأمة من يستعمله الله تعالى لنصرة الدين ونشر الحق والجهاد في سبيل الله تعالى.

أم الإمام محمد بن إدريس الشافعي:

وهي من قبيلة الأسد وهي قبيلة عربية أصيلة، ولكنها ليست قرشية، ولِدَ الشافعي في أسرة فقيرة جدًا، وبعد ولادته بعامين توفي أبوه، فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة لأنه قرشي حتى لا يضيع نسبه، ولأن له سهم من ذوي القربى. لكن هذا المال الذي كانت تأخذه من سهم ذوي القربى كان قليلاً وقليلاً جدًا، فعانت هي ووليدها محمد حرمانًا وفقرًا. ولكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان، على جانب من العلم والحفظ، فأرادت لولدها أن يتعلم ويحفظ فدفعت به إلى مكان في مكة يقرئ الصبيان. ولكن الأم لم تجد أجر المعلم، فكان الشيخ المقرئ يهمل ويقصِّر في تعليم الصبي المتعطِّش إلى العلم والمعرفة، ولكن كان المعلم إذا علَّم صبيًا شيئًا، تلقَّف الشافعي ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضي شأنه أخذ محمد مكانه وراح يعلم الصبيان تلك الأشياء. ورآه المعلم يفعل ذلك، فارتاحت نفسه ونظر إلى أنَّ الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه فترك طلب الأجرة واستمرت هذه الحال مع الشافعي حتى حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره ومنهم من قال وهو ابن سبع سنين(٣).

وكانت أمه قد وجَّهته لإتقان القراءة والتلاوة والتفسير على شيوخ المسجد الحرام ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقانًا جيدًا ملفتًا للنظر(٤).

وهنا نرى أن الأم التى تحققت بالربانية لم تكتف بالأماني والأحلام ولكنها انطلقت مع ضيق ذات اليد في الأخذ بالأسباب والسفر لطلب العلم ولقاء العلماء فكانت أما رائدة، وكان ولدا رائدا كذلك.

---

(١) تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، هذبه وعلق على مواطن منه عبد القادر بن محمد الغامدي الجعيدي، المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف ـ، مكة المكرمة، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م،، ص: ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص١٩.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى - (٢/ ١٧٨) طبقات الحفاظ - (١/ ٢٨) وفيات الأعيان - (٤/ ١٦٤).

(٤)طبقات الشافعية الكبرى - (٢/ ١٧٨) طبقات الحفاظ - (١/ ٢٨) وفيات الأعيان - (٤/ ١٦٤).

أم الإمام ملك بن أنس إمام دار الهجرة :

ففي الموطأ عن ابن أبي أويس قال: سمعت خالي مالك بن أنس يقول: «كانت أمي تلبسني الثياب وتعممني وأنا صبي وتوجهني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن وتقول لي: تأتي أنت مجلس ربيعة فتعلَّم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفهمه»[١].

إنها الأم التي لم يكن يشغلها حصول ولدها على مجرد شهادة أو مكانة أو حفظ مجرد لبعض النصوص، وإنما كان همها الأكبر أن تقدم للدنيا نموذجًا عمليًّا للإسلام، يحول علمه إلى سلوك واقعي ملموس، فالأمة لا تقنع بمجرد العلم والحفظ، وليست في حاجة إلى نسخ جديدة من الكتب الإنسانية، إنما هي في أمس الحاجة إلى نماذج عملية تعيش بالإسلام منهجًا وعقيدةً وسلوكًا، إن الأمّة في حاجة إلى مَنْ يعملون أكثر ممن يقولون لأن هؤلاء هم القوة الحقيقية للأمة، وهم الذين يسلكون بها طرق النجاة وسبل الصالحين.

أم عبد الرحمن الناصر:

وهذا البطل المقدام عبد الرحمن الناصر الذي ولد بقرطبة في الأندلس سنة ٣٥٠هـ/ ٨٩١م، ونشأ يتيمًا فتولت أمه تربيته حتى شب قوي البأس، شجاعًا لا يهاب المنون؛ بويع بالخلافة بعد جده فكان أطول ملوك بني أمية في الخلافة، حكم خمسين سنة وستة أشهر، وقد ولي الأندلس وهي تميد بالفتن، وبحزمه وصرامته استقر له الحكم، وسكنت له الأندلس وكان مولعًا بالفتوحات حيث خرج في طليعة جنده ففتح سبعين حصنًا؛ ثم أمعن في قلب فرنسا وتغلغل في سويسرا وضم أطراف إيطاليا[٢] ترى ما سرّ عظمة هذا الرجل؟ وهذه الهمة التي يتمتع بها؟ إنها أمه التي تفردت بتربيته بعد أن توفي أبوه وهو صغير، فغرست في عقله الكمال وحسن الإدارة والحكمة في تدبير الأمور.

فلتجتهد المرأة المسلمة في توجيه أولادها ولتحرص على تربيتهم وفق تعاليم الإسلام السامية ليأخذوا مكانتهم بين الخلائق فيكونوا علماء صلاح ورواد إصلاح، يرفعون راية الحق ويقودون الأمّة إلى العز والتمكين .

وغير هذه النماذج الكثير والكثير ولسنا بصدد الإحصاء الآن، لكن لن يستطيع منصف أن يتجاوز نماذج معاصرة لأمهات المجاهدين في فلسطين وغيرها من البلاد الإسلامية ، لن يستطيع أحد أن ينسى تلك الأم التي ربت أولادها على وجوب الجهاد وحب الاستشهاد حتى قامت بنفسها بإعداد الحزام الناسف وشدته بيدها على وسط ولدها ليتفجر معه في وجوه وأجساد ومعدات اليهود الغاصبين، ولينشر في قلوبهم الرعب والفزع، شعرنا بالخجل من أنفسنا يوم أن رأينا هذه التضحيات الغالية، فنحن ننام ونأكل ونشرب ونقدم لأبنائنا كل وسائل الراحة وكماليات العيش، لنصنع منهم جيل المستقبل، لكن هل أفلحنا، وهل حقًّا سيخرج من بين أيدينا جيل النصر والعزة والكرامة؟!!

(١) مسند الموطأ - (١/ ٩٥).
(٢) تاريخ أبى الفداء (٢/ ١٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٩٣) الأعلام للزركلي (٣/ ٣٢٤).

هل يمكن أن تهزّ الأم المهد بيمينها فتهز العالم بشمالها كما يقولون؟! هل يمكن أن تنتفض نساء الأمّة الإسلامية فتخرج لنا جيلاً يحررها من القهر والذل والهوان؟ هل يمكن أن تكون انتفاضة ضد كل ما من شأنه أن يمسخ سمات القوة والعزة والكرامة والصمود في أطفالنا وجيل النصر المنشود؟

لا نريد أبناء ضعفاء، جبناء لا يعرفون ولا يدركون من حياتهم سوى اللهو واللعب، لا نريد أن يكون جيلاً خانعًا لا يتحمل الصعاب !! نريد رجالاً صغارًا كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وأسامة بن زيد[1].

وهناك الكثير والكثير الذي تستطيع الأم أن تقدمه لأبنائها ليكونوا صناع مجد الأمّة ومصدر رقيها وحضارتها وتقدمها، فلتبذل كلٌ مسلمة ما تستطيع، فلعل أبناءنا الذين يلعبون حولنا الآن هم جنود المعركة القادمة علميًّا وثقافيًّا وعسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا. فالمعركة الكبرى قادمة لا محالة، والنصر آتٍ لمن جاهد لأجله.

(١) انظر: دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة، فاطمة بنت خليل محمد محسن، دار البشائر، ص: ٢٤٢

المبحث الرابع: بذلٌ ينهضُ بمُجتمعِهَا

ومن معالم ربانية المرأة المسلمة أن تكون نافعة لمجتمعها، باذلةً للخير لصالحه، فقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: [المؤمن مؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف] وفي رواية: «خير الناس أنفعهم للناس»(١)

وعن عبد الله بن دينار، عن بعض أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: قيل: يا رسول الله! من أحب الناس إلى الله؟ قال: " أنفعهم للناس، وإن أحب الأعمال إلى الله: سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضى عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف شهرين في مسجد، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه –ولو شاء أن يمضيه أمضاه– ملأ الله قلبه رضاً، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تزل فيه الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل"(٢).

وهكذا نرى أن الهدي النبوي يوجه الأمّة إلى السعي في حوائج الناس وأن هذا السعي ليس شيئا من الكماليات بل هو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، لذا لا توجد ربانية لا أثر لها في المجتمع، بل من أبرز ملامح الربّانيّة: الشفقة على الناس والرحمة بهم، لذا فقد أثني الله تعالى على نبيه صلى الله عليه

---

(١) رواه أحمد في مسنده (ج١٤٤/٩)، ح[٩١٧٠]، واللفظ له. وفيه أيضًا (ج٤٤٣/١٦)، ح [٢٢٧٣٨]، عن سهل قال، قال رسول الله (المؤمن مألفة...)، شرح وفهارس حمزة أحمد الزين ط١/ ١٩٩٥م، دار الحديث- القاهرة. / وأورده الهيثمي في المجمع في موضعين [٨٧/٨، ٢٧٣/١٠] وبلفظ :<<المؤمن يألف ويؤلف ولا..>> والحديث صححه الشيخ العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة [٤٢٦]وذكر له شاهدا [ح ٤٢٧]من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
ورواه الدارقطني في الأفراد والضياء المقدسي في المختارة وفيه زيادة :<< وخير الناس أنفعهم للناس >>وحكم عليها بالصحة.وفي الفردوس للديلمي عن جابر: [المؤمن مألف مألوف حيي ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير النَّاس أنفعهم للناس]، (٧٧/٤) برقم (٦٥٤٩)، ضبط الفردوس للديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه الديلمي الهمذاني (٤٤٥-٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، باب: الميم (ج٤/ ص ١٧٧ برقم ٦٥٤٩)، ط١٩٨٦/١م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

(٢) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) (٦/ ٣٤٨) وأخرجه الطبراني في (الكبير) (١٢/ ٤٥٣)، وفي (الأوسط) [٢٠٢٦]، وفي (الصغير) [٨٦١]. وقال الترمذي: "تكلم فيه بن المبارك، وتركه في آخر أمره" (الجامع ٥/ ١٧٦). وقال عمرو بن علي الفلاس: " ضعيف " (أخرجه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٣٨٤، والعقيلي في الضعفاء ١/ ١٦٧، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٥). وقال ابن أبي حاتم: " سمعت أبى وسئل عن بكر بن خنيس؟ فقال: كان رجلاً، صالحاً غزاء، وليس هو بقوي في الحديث، قلت: هو متروك الحديث؟ قال: لا يبلغ به الترك " (الجرح والتعديل ٢/ ٣٨٤). وقال النسائي: "ضعيف" (الضعفاء والمتروكين، ص: ٢٤). وقال ابن أبي شيبة: " ضعيف الحديث، وهو موصوف بالرواية والزهد" (نقله ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/ ٣٠٣). وقال البزار: "ليس بالقوي" (نقله ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/ ٣٠٣). وقال الدارقطني: "ضعيف" (السنن ٢/ ١٢١).

وسلم فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

ويمكن القول بأن هناك بعض مجالات العمل المجتمعي الذي يتناسب و مهارات المرأة وطبيعة أنوثتها، كما توجد مجالات لا يصلح للقيام بها إلا الرجل، بينما توجد مجالات للعمل المجتمعي يمكن لكل من الرجل والمرأة المساهمة فيها. فللمرأة دور كبير في العمل التطوعي وهو أن تبذل شيئًا من جهودها ووقتها بإرادتها في منفعة الآخرين وتقديم الخدمة لهم.

وقد كانت النساء المسلمات يقمن بنشاط متنوع يسهمن من خلاله في تمويل الأعمال الاجتماعية، ويقضين الوقت في أمر نافع للمجتمع المسلم، واستغلال طاقات المرأة المسلمة وتوظيفها.

ومن أوجه هذا النشاط:

١. العمل مع الجمعيات النسائية:

والعمل مع المجموعات والجمعيات النسائية له أصول شرعية أقرَّها النبيُّ ﷺ حيث كانت للنساء سقيفة خاصة في المسجد النبوي، وكانت تجتمع فيها مجموعة من النساء قد تخاللن وتآخين وتعاهدن فيما بينهن على القيام ببعض أعمال البر المفيدة النافعة، ومنها النواحي التعليمية حيث طلبن من الرسول، أن يخصص لهن يومًا لتعليمهن دينهن، وهذا يفيد مشروعية عمل المرأة الجماعي لأهداف ومصالح شرعية لقوله للنساء عند طلبهن يومًا خاصًا لهن قال: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا»(٢) وكان للنساء مندوبة تتحدث باسمهن وهي أسماء بنت يزيد.

فهناك أعداد ضخمة من الجمعيات النسائية التي تقدم خدمات اجتماعية جليلة في المجتمع ولها أكبر الأثر فيه، وإنه لمن الضروري أن تساهم المرأة المسلمة في الجمعيات النسائية الخيرية لتحافظ على وجهتها السليمة من خلال مشاركتها بما تقدر عليه، ومن أهم النشاطات التي تقوم بها هذه الجمعيات هي النشاطات الاجتماعية المتنوعة الكثيرة والعظيمة، وأهمها تقصي أحوال الأسر والأفراد ذوي الحاجة وتقديم المساعدات لهم، والمشاركة في الأسواق والأطباق الخيرية التي يستفاد من ريعها في تمويل المشاريع الخيرية.. أما إذا كانت المرأة من ذوات المؤهلات العلمية المتخصصة فيمكنها المشاركة في إقامة محاضرات ودروس توعية للمرأة في كل المجالات، والنشاطات الاجتماعية الطيبة والمتنوعة؛ فتصبح تلك فرصة طيبة لها لتُعلم وتتعلم، فتستفيد وتفيد في آنٍ واحد، ورب كلمة طيبة ونصيحة مخلصة تأخذ بيد الأمهات والمعلمات والمربيات نحو الخير، وتبعدهن عن الأخطار التربوية، وتصل بالنشء إلى التقدم والفلاح (٣).

---

(١) سورة التوبة، آية رقم: [١٢٨].
(٢) سبق تخريجه، انظر: ص٩.
(٣) انظر: مقالاً لوسيلة الحلبي بصحيفة الجزيرة السعودية، عدد رقم: [١٢٥٩٠].

وإن المرأة المسلمة ينبغي عليها أن تسارع في هذا الجانب تحقيقا للنفع وتجنيبا للضرر.

أما تحقيقها للنفع فظاهر جليٌ في مد يد العون لكل محتاج وتفريج كرب مكروب ورفع هم عن المهمومين ومداواة الجرحى ومواساة المنكوبين وغير ذلك من مسارات العمل الاجتماعي العظيمة.

أما دفع الضرر فمن أبرز صوره التضييق على الجمعيات التي تعمل في الإغاثة ظاهرًا في الوقت الذي تتبنى فيه أجندة مغرضة وأهدافا مشبوهة، وتمولها جمعيات ومؤسسات تنصيرية أو صهيونية !

وما أكثر هذه الجمعيات، وما أكثر الدعم الذي تحظى به على الصعيد المحلي والدولي!!

٢. الصدقات:

تمثل الصدقات بابًا واسعًا لتمويل كثير من أعمال الخير لخدمة المجتمع ومنها: الإنفاق على الضيوف كما فعلت الصحابية الجليلة أم شريك الأنصارية والتي وصفتها فاطمة بنت قيس بقولها: امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان(١).

وقد ضربت السيدة عائشة المثل في النفقة فكانت تنفق الكم من المال في سبيل الله وتنسى نفسها(٢). وزينب بنت جحش أم المساكين وصفها رسول الله ﷺ بطول اليد لبذلها الصدقات والزكوات(٣).

وقد وجه النبي ﷺ النساء مباشرة إلى البذل والإنفاق ليكون ذلك بابا للنجاتهن من النار، وفي الحديث: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"(٤).

٣. الأوقاف:

والأوقاف من أهم الموارد التي أسهمت المرأة المسلمة فيها بسهم وافر، والوقف له آثار عظيمة في المجتمع الإسلامي ومن ذلك: الوقف الخيري وهو: ما جعل ريعه على جهة معينة كإقامة المؤسسات ذات النفع العام، كالمدارس والجامعات والمستشفيات ودور الأيتام ودور العجزة، ومن أمثلة ذلك:

أ- **حفصة أول مشرفة على الأوقاف**: ولاها عمر هذه المهمة بعد وفاته، وكتب وصيته: (هذا ما وصى به عبد الله عمر أم المؤمنين إن حدث به حدث الموت أن تمغًا وصرمة بن الأكوع والعبد الذي فيه والمائة سهم التي بخيبر ورقيقه الذي فيه والمائة التي أطعمه محمد بالوادي تليه حفصة ما عاشت، ثم توليه ذا الرأي من أهلها ألا يباع ولا يشترى ينفقه حيث يرى من السائل والمحروم وذوي القربى، ولا حرج عليه إن أكل أو آكل واشترى رقيقًا منه)(٥).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ج: ٤، ص: ٢٢٦١، رقم ٢٩٤٢.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٨٧، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٦٧، (حلية الأولياء): ٢/ ٤٧.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل زينب أم المؤمنين، ج٧، ص١٤٤، رقم ٦٤٧٠.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ج١، ص٣١٤، رقم ٣٠٤.
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ماجاء في الرجل يوقف الوقف، ج٢، ص١٣٠، رقم ٢٨٧٩، قال الألباني: صحيح. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد مع الكتاب : تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ، دار الفكر.

ب- **وقف رملة بنت الحارث:** فقد أوقفت رملة بنت الحارث الأنصارية [١]: دارًا مخصصة للضيافة لاستقبال ضيوف الدولة الإسلامية وكانت تتسع لحوالي ٤٠٠ فرد [٢].

ت- **أوقاف زبيدة زوجة هارون الرشيد:** التي لا تزال معالم أوقافها في طريق الحج من العراق إلى المدينة وعين زبيدة بمكة لسقاية الحجيج [٣] وهي موجودة حتى الآن. وقد قال ابن الجوزي: إنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحل إلى الحرم، وعملت عقبة البستان فقال لها وكليها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار[٤].

٤. الغزل:

وهو تجهيز المادة الأولية من الخيوط من الصوف أو الشعر لتستعمل في إنتاج الملابس أو الأغطية وكانت عملية الغزل تتم في البيوت وفي المسجد وأحيانًا في أرض المعركة لتجهيز المجاهدين بالحبال. وكانت أم عمَّارة نسيبة بنت الحارث تعد عصائب علقتها في وسطها أعدتها لإسعاف الجرحى وربط جروحهم .

٥. دبغ الجلود وتصنيعها:

وهي صناعة مهمة اهتمت بها الصحابيات لاستعمَّالها فراشًا في البيت أو تصنيعها أحذية أو أوعية لحفظ الأكل أو أسقية لحفظ الماء والسمن. وكان كثير من الصحابيات يصنعن ذلك ويتصدقن به إسهامًا في خدمة المجتمع المسلم، وكانت زينب بنت جحش صناع اليدين فكانت تدبغ وتتصدق بعد تصنيع الجلود ودبغه[٥]. وعن عائشة -رضي الله عنها -قالت: (كانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي ﷺ يخيطون به ويستعينون به في مغازيهم)[٦].

٦. التطبب:

برعت المرأة المسلمة في مجال التطبيب إلى درجة عالية بداية برفيدة التي ضربت أروع المثل في إعانة المرضى وتخفيف آلامهم ومداواة جروحهم ومد يد المساعدة الطبية لكل من احتاج إليها.

ولعلنا نلحظ أن هذا المجال من أنسب المجالات التي يمكن أن تؤدي فيها المرأة دورًا فاعلاً -بل لعله من الواجبات في بعض الأماكن والظروف-، فيكفي أنها ترفع الحرج الشرعي عن المرأة

---

(١) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية، ذكرها ابن حبيب في (المبايعات)، وأن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دار رملة بنت الحارث، وقال ابن سعد في (الطبقات): رملة بنت الحارث، وهو الحارث بن ثعلبة بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، تكنى أم ثابت، وأمها كبشة بنت ثابت بن النعمان بن حرام، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة. (الإصابة): ٧/ ٦٥١، ترجمة رقم (١١١٨٣)، (طبقات ابن سعد): ٨/ ٣٢٧.

(٥) نهاية الأرب: ١٧/ ١٩٠ وما بعدها، الإصابة في تمييز الصحابة - (٧/ ٦٥١).

(٣) أخبار مكة للفاكهي - (٥/ ١١٨) الأعلام للزركلي - (٣/ ٤٢) وفيات الأعيان: ٢/ ٣١٤. البداية والنهاية - (١٠/ ٢٩٧).

(٤) أحكام النساء ٢٣٢ دار القاسم، الرياض ط أولى ١٤٢١ هـ، الوافي بالوفيات (٤/ ٤٧٢).

(٥) الحاكم في مستدركه ج: ٤/٢٧، حديث رقم: ٦٧٧٦، قال الحافظ في «الفتح» ٣/ ٢٨٧: قال الحاكم: على شرط مسلم.

(٦) الطبراني في معجمه الأوسط ج: ٦/، ص: ٢٣٣ حديث رقم: ٦٢٧٦، وانظر حياة الصحابة للكاندهلوى (٣/ ٩) نساء حول الرسول (١/ ٣٢).

المسلمة فلا تضطر إلى الذهاب إلى طبيب والتكشف عليه مسلما كان أو غير مسلم أو حتى امرأة غير مسلمة.

كذلك فإن العمل الطبي من أعظم منافذ العمل مع المجتمع وأشدها تأثيرًا فالمريض بين يدي الطبيب في حالة تسليم وثقة وعلى استعداد كامل للتفاعل مع توجيهات الطبيب وإرشاداته.

ولعمري كم استخدم المنصِّرون هذا الجانب الخطير في صد الناس عن دين الله تعالى بمد يد العون للمرضى باسم الصليب والمسيح!!

ولعلنا ندرك الآن أن هذا الباب من أكبر وأوسع الأبواب التي يدخل منها المنصِّرون إلى عقول الناس فيفسدونها، وإلى عقيدتهم فيحرفونها، فهذا الصليب الأحمر والمستشفيات المتنقلة والهيئات التنصيرية التي برعت في هذا الجانب وتغلغلت في ربوع الدنيا، في الوقت الذي مازال البعض من المنتسبين للإسلام يزعمون أن تعلم الطب والهندسة والصيدلة لا يجوز لأنها علوم الكفار والملحدين!!!

٧. **العمل الجاد لمحاربة الجهل والقضاء على الأمية** وتصحيح صورة الإسلام وتنقيتها من تطرف المتطرفين وتسيب المتسيبين وخاصة في الوسط النسوي والشبابي.

٨. **تأسيس الجمعيات المتخصصة** ودعم المجتمع المدني الذي يؤطر الطاقات الفاعلة في المجتمع وليكون مفيدًا لا مستفيدًا وليكمل الدور الذي تقوم به مؤسسات الدولة.

٩. **تأسيس معاهد خاصة لتدريب القيادات النسوية** في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية...[1].

أسماء لامعة في العمل الاجتماعي:

في تاريخنا الإسلامي نجد الكثير من النماذج المشرقة التي أسهمت فيها المرأة المسلمة في الأعمَّال التطوعية والخيرية ... ونشير إلى الأسماء اللامعة التالية:

١ – خديجة بنت خويلد:

كانت السيدة خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– من أثرى أهل زمانها، وكانت أول زوجة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها أحدًا في حياتها، وقد بذلت في سبيل الإسلام كل ما لديها من مال وأنفقته في سبيل الله، وجعلته تحت تصرف النبي ﷺ.

يروي التاريخ، أن خديجة قالت لابن عمها ورقة بن نوفل: أعلن بأن جميع ما تحت يدي من مال وعبيد قد وهبته لمحمد يتصرف فيه كيف شاء، فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادي

(١) انظر: سالم حسن، دور المرأة المسلمة في عملية الإصلاح والتغيير، مجلة المختار بتاريخ ٢ /١٠ /٢٠٠٦.

بأعلى صوته: يا معاشر العرب، إن خديجة تشهدكم على أنها وهبت لمحمد نفسها، ومالها، وعبيدها، وجميع ما تملكه يمينها، إجلالاً له، وإعظامًا لمقامه، ورغبة فيه[١].

وهكذا بذلت خديجة كل ما لديها من أموال وعبيد وأملاك في سبيل نصرة الدين، ونشر راية الإسلام خفاقة في أرجاء الجزيرة العربية وما حولها. حتى قال عنها الرسول ﷺ: «وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ» [٢] فقد بذلت كل ما تملك في مؤازرة الرسول ﷺ ونشر الدعوة الإسلامية.

٢- أم عطية:

شاركت الصحابية المشهورة أم عطية نسيبة الأنصارية في سبع غزوات مع رسول الله ﷺ، وكان دورها التطوعي هو إعداد الطعام للمقاتلين، وتضميد الجرحى، ومساعدة المرضى. قالت أم عطية: (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى)[٣].

وبذلك ضربت أم عطية أروع الأمثلة على ما يمكن للمرأة المسلمة القيام به من أعمَّال تطوعية حتى في أصعب الظروف كحالة الحرب والقتال.

٣- أم عمَّارة:

جسدت أمّ عمَّارة نسيبة بنت كعب المازنية دور المرأة المسلمة الهام في العمل التطوعي، إذ كانت تخرج مع المسلمين في غزواتهم لتزويدهم بالمياه، وتضميد الجرحى، بل أنها قاتلت مع النبي ﷺ في غزوة أحد للدفاع عن رسول الله ﷺ كما هو مذكور في كتب التاريخ والسير[٤].

وبذلك أعطت أم عمَّارة مثالاً رائعًا لما يمكن أن تقوم به المرأة المسلمة من أعمَّال تطوعية حتى في أوقات الشدة والعسر فضلاً عن أوقات الرخاء واليسر.

٤- رفيدة الأسلمية رائدة العمل التطوعي:

رفيدة بنت كعب الأسلمية كانت ممن لهن علم في الطب في زمانها، وكانت قد حبست نفسها على من فيه ضيعة من المسلمين.

وكان لها خيمة تشرف فيها على تطبيب المسلمين، وعدها المؤرخون أول مستشفى في الإسلام.

حيث جعل رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب لنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول

---

(١) أعلام النساء، علي محمد علي دخيل، دار الهادي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م، ص: ٢٠.

(٢) رواه أحمد وإسناده حسن (الزوائد ٢٢٤/ ٩) وابن عبد البر (الاستيعاب ٢٨٧/ ٤) وابن كثير (البداية والنهاية ٩٢/ ٨) أعلام النساء، علي محمد علي دخيل، ص: ٢٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن، ج٥، ص١٩٩، رقم ٤٧٩٣. وقد ورد عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم، ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء، ويداوين الجرحى. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، ج٥، ص ١٩٦، رقم الحديث: ٤٧٨٥.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م، ج٣، ص: ٧٥.

الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده من قريب»[1].

٥- أسماء بنت يزيد بن السكن:

خرجت في معركة اليرموك تسقي الظمأى وتداوي الجرحى فلما جدّ جدُّ المسلمين أخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف تضرب حتى صرعت تسعة من الروم وهي لا زالت عروسًا صحبها زوجها معه[2].

وتضرب هذه الصحابية أروع الأمثلة التطبيقية، عندما ضاف الرسول ﷺ رجلاً فقال لنسائه فقلن: ما معنا إلا الماء!! فقال رسول الله ﷺ: «من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني! فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصلحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك الله- أو عجب من صنيعكما». فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

إنَّ على كل امرأة مسلمة في عصرنا أن تقتدي بمثل هذه النماذج المضيئة من سيرة النساء المؤمنات، وكيف تطوعن للأعمَّال الخيرية، وكيف استثمرت كل واحدة منهن ما لديها من مواهب وقدرات وإمكانات في فعل ما يمكن فعله في مجال الأعمَّال التطوعية.

فلتساهم كل امرأة بما يمكنها في تنمية مسيرة العمل التطوعي في المجتمع، ولا تستقل أي عمل تطوعي فيه خدمة للناس، فالبحر إنما يتكون من قطرات متجمعة، فلو أن كل فرد من أفراد المجتمع أسهم بما يستطيع في مجال الأعمال الخيرية فإن النتيجة ستكون مذهلة ورائعة.

وإنّ السعي في خدمة مجتمعها لا يتوقف عند تلك الصورة أو ذلك النشاط فحسب، وليس محصورا في العمل المجتمعي وفقط، بل لابد أن تكون لها مشاركة في كل ما يعود على المجتمع بالخير والفلاح، ومن أمثلة تلك المجالات والأنشطة التي يمكن أن تخدم فيها مجتمعها وأمتها ما يلي:

١. اختيار الحاكم والرضا به وهو ما كان يعبر عنه في التراث الفقهي الإسلامي «بالبيعة».
٢. المشاركة العامة في القضايا التي تخص عامة الأمة، وهو مبدأ الشورى الذي حث عليه الإسلام.
٣. نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر[4].

فلم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في كل هذه الحقوق المذكورة، وبيان ذلك ما يلي:

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٩) الروض الأنف (٣/ ٤٤٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٧).
(٢) أسد الغابة ٧/١٦، رقم٦٧١٧، والإصابة ٨/٢١، رقم١٠٨١٦.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج٣، ص: ١٦٢٤ والآية من سورة الحشر، رقم: [٩].
(٤) انظر: المرأة والعمل السياسي، هبة رءوف عزت، ص: ١٣٢.

أولاً: اختيار الحاكم والرضا به وهو ما كان يعبر عنه في التراث الفقهي الإسلامي «بالبيعة»: ذكر الله البيعة عامة دون تخصيص الرجال والنساء في أكثر من موضع فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)، كما ذكر الله أمر النساء في البيعة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، فأثبت القرآن الكريم حق المرأة في مبايعة الحكم كالرجال تمامًا، واعتبار صوتها بصوت الرجل دون تمييز بينهما.

ثانيا: المشاركة العامة في القضايا التي تخص عامة الأمة، وهو مبدأ الشورى. وقد حثَّ الإسلام على مبدأ الشورى بين الحاكم والرعية، ولم يفرق بين الرجل والمرأة في ذلك، وقد أرشد إليها ربنا في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فقال تعالى في ذكر محاسن المسلمين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٣)، وقال تعالى في أمره لنبيه والذي يمثل ولي أمر المسلمين وقتها: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٤).

وفي عصرنا الحديث لم يعترض علماء الإسلام على ترشيح المرأة في المجالس النيابية، وتمثيل فئة عريضة من الشعب والمشاركة في سن القوانين التنظيمية، ولقد أصدرت دار الإفتاء المصرية الفتوى رقم ٨٥٢ لسنة ١٩٩٧م، عن حكم جواز أن تكون المرأة عضوًا بمجلس النواب أو الشعب خلصت فيها بأنه: لا مانع شرعًا من أن تكون المرأة عضوًا بالمجالس النيابية والشعبية إذا رضي الناس أن تكون نائبة عنهم تمثلهم في تلك المجالس، وتكون مواصفات هذه المجالس تتفق وطبيعتها التي ميزها الله بها، وأن تكون فيها ملتزمة بحدود الله وشرعه كما بين الله وأمر في شريعة الإسلام.

فحينما تجد المرأة المسلمة مكانًا متاحًا في البرلمان هل تزهد فيه وتتراجع للتركة للفاسدات المفسدات المائلات المميلات؟! وحينما تجد المرأة لنفسها حقًّا في التصويت ضمنه لها القانون والنظام وخصصت لهن لجانا خاصة فهل تقبع في بيتها وتمسك عن أداء شهادة الحق وتترك قول الحق وتتنازل عن صوتها وحقها ليزوره المزورون والمفسدون وتذهب غيرها لتختار النصراني أو الماسوني أو العلماني!!!

---

(١) سورة الفتح، آية رقم: [١٠].
(٢) سورة الممتحنة، آية رقم: [١٢].
(٣) سورة الشورى، آية رقم: [٣٨].
(٤) سورة آل عمران، آية رقم: [١٥٩].

ثالثا: تولي المناصب المهمة في الحكومة ومؤسسات الدولة: جاءت آثار في تولي المرأة السلطة التنفيذية، أو الشرطة، أو ما تسمى في التراث الفقهي الإسلامي «الحسبة»، وكان ذلك في القرن الأول الهجري، وعلى خلفية هذه الآثار أجاز بعض العلماء تولي المرأة هذا المنصب القيادي الحساس في الدولة الإسلامية، حيث جاء في الموسوعة الفقهية ما نصه: «وأجاز توليتها آخرون لما ثبت من أن سمراء بنت شهيك الأسدية كانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنهى الناس عن ذلك بسوط معها»(١).

كما يجوز للمرأة أن تتولى القضاء على قول بعض أهل العلم من علماء المسلمين المعتبرين، فقد ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه يجوز أن تلي النساء القضاء فيما يجوز أن تقبل شهادتهن فيه وحدهن أو مع الرجال؛ لأن في الشهادة معنى الولاية، وقد ذكر ابن حجر ذلك فقال: «والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور وأجازه الطبري، وهي رواية عن مالك، وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء»(٢).

فما مر يبين وضع تولي المرأة مناصب مهمة في الحكومة في الواقع الفعلي للمسلمين، وفي التراث الفقهي لهم، أما في عصرنا هذا فتشارك المرأة الرجل –في أغلب الدول الإسلامية والعربية– في جميع وظائف الدولة والحياة السياسية والعلمية، فالمرأة سفيرة ووزيرة وأستاذة جامعية وقاضية منذ سنوات عديدة، وهي تتساوى مع الرجل من ناحية الأجر والمسمى الوظيفي لكل تلك الوظائف.

رابعًا: نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: بدأ نصح النساء لولي الأمر وقول الحق عنده مبكرًا، في القرن الأول في تلك القرون الخيرة ففي خلافة عمر رضي الله عنه يروي لنا قتادة ذلك فيقول: «خرج عمر من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأة برزت على ظهر، فسلم عليها عمر فردت عليه السلام، وقالت: هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا في سوق عكاظ ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي عليه الفوت»(٣).

وفي خلافة عمر رضي الله تعالى عنه صعد عمر أمير المؤمنين على المنبر، وأراد أن يحدد مهورًا للنساء، على قدر مهور زوجات رسول الله ﷺ وبناته، فقامت امرأة وقالت: يا عمر! لم تحرمنا من شيء أحله الله لنا؟! قال: وما ذاك، قالت: في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٧/ ٢٤٢) وانظر: المعجم الكبير للطبراني، (١٨/ ٤٨). وانظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٤/ ١٨٦٣، ترجمة رقم (٣٣٨٦)، (الإصابة): ٧/ ٧١٢، ترجمة رقم (١١٣٣٢).
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٧/ ٢٤٢)، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - (١٤/ ٣٧٩).
(٣) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (٢/ ٧٢٤) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠، مكان النشر: بيروت.

قِنطَارًا﴾[1] فقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر! ورجع عمَّا كان يريد أن يفعل[2].

وعن أبي نوفل قال: دخل الحجاج ابن يوسف الثقفي بعد مقتل عبد الله بن الزبير على أسماء بنت أبي بكر فقال: «كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك أما إن رسول الله حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها»[3].

هذه نماذج قليلة والتاريخ الإسلامي ممتلئ بالكثير من الصور كهذه، أما الآن فالمرأة يتاح لها هذا الحق كالرجل من خلال القنوات المشروعة، كالصحافة، أو عضوية مجلس الشعب، أو غيره من القنوات المشروعة لنصح الحكومة وإنكار الأخطاء في تصرفاتها وإقرار الصواب فيها.

وفي النهاية أقول: إن للعمل الاجتماعي التطوعي فوائد تعود على الفرد المتطوع نفسه وعلى المجتمع بأكمله، وتؤدي إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية. ففيه سعادة الدنيا والآخرة، وفلاح العبد في الدارين، وإن من أبرز معالم تحقق الربّانيّة أن يسعى المسلم في بذل الخير والسعي في قضاء حوائج المسلمين، وأن المرأة المسلمة ينبغي أن يكون لها الباع الأكبر في خدمة مجتمعها ونفع أمتها، وهذا من دلائل الإيمان ومن علامات توفيق الرحمن، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في الخير وإذا أراد به شرا شغله بما لا يعنيه.

---

(١) النساء:٢٠.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٩٩) الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م، وانظر: تفسير النسفي، (١/ ٢١٨).

(٣) البداية والنهاية، (٨/ ٣٧٥) وانظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (١/ ٢٨٥).

المبحث الخامس: دعوة تنشر بها دينها

إن الربانية لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالسعي لنشر دين الله –تعالى– وهدي الإسلام العظيم، لذا فإن حمل الدعوة ونشرها في الآفاق لإخراج الناس من ظلمات المعاصي إلى نور الهداية، ومن ظلمات الكفر إلى أضواء الإيمان لمن أهم وأبرز معالم الربانية، وقد فهمت المرأة المسلمة في صدر الدعوة طبيعة مهمتها فانطلقت بكلمة التوحيد تملأ الآفاق.

إن زوجات النبي ﷺ والصحابيات الكرام كان لهن الدور البارز في الدعوة إلى الله تعالى، بل كُنّ يحملن هم الدعوة في كل حركة حياتهن بداية ممن كانت أول شهيدة في الإسلام، ومرورًا بمن جعلت مهرها الإسلام، ومن وهبت أولادها للإسلام، ومن هاجرت مع زوجها لنشر الإسلام، ومن أعانت زوجها على مهام الدعوة ومشاق الطريق، إن طريق الدعوة يعج بالنساء الصالحات المصلحات على مدار الأزمنة والعصور، وأن الربّانيّة لن تتحقق بحال لمن سعى إلى صلاح نفسه وفقط، ولكن لابد من أن يسعى في إصلاح غيره، بأن ينشر قيم الإسلام الراقية ويستخدم الوسائل المتاحة في العمل على هداية الضال وإرشاد الحائر وتذكير الغافل، وتعليم الجاهل.

فهذه أم كلثوم بنت عقبة تهاجر من مكة إلى المدينة فارّةٌ بدينها وهى فتاةٌ عاتق (لم تتزوج) تاركةٌ خلفها أبوها وهو شيطان من شياطين الأنس، ثم يلحق بها أخواها فتقول لرسول الله ﷺ: (أتردني إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي وحال النساء ما قد علمت)[1].

وهذه أمّ شريك وقع في قلبها الإسلام فأسلمت وهى بمكة ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًا، فتدعوهن، وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك، ولفعلنا!! ولكننا نردك إليهم[2].

وخطب أبو طلحة أمَّ سليم الغميصاء بنت ملحان قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك راغبة، وما مثلك يُرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة لا يحل لي أن أتزوجك..فقال: ما دهاك يا رميصاء..؟

قالت: وماذا دهاني..؟ قال: أين أنت من الصفراء والبيضاء (يقصد الذهب والفضة)..؟

قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا.. أما تستحي أن تعبد خشبة نجّرها لك حبشي بني فلان.. إن أنت أسلمت فذاك مهري!

قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. قالت: يا أنس (ابنها) زوّج أبا طلحة فزوّجها[3]. هل في تاريخ العالم لوحة أعظم من هذه اللوحة المعبرة...؟

نماذج وميادين دعوية

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، (٢/ ٧١٧) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، مكان النشر: بيروت.
(٢) الإصابة لابن حجر، ج٧، ص: ٢٣٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ج٨، ص: ٣٢٤.
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٦٥).

هناك ميادين دعوية تقوم فيها المرأة المسلمة بأداء دورها الدعوي، ومن هذه الميادين:

المنزل:

وهو الميدان الخصب، والوسيلة الأبلغ تأثيرًا، ولا غرو أن الله جعل كلاً من الزوجين راعيًا في بيته، وسيسأله الله عن أهله وزوجه، وأمرهما بوقاية الأهل من النار قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1] ومهما حصل من تقصير من أهل المسئولية في الدعوة من خلال الوسائل الأخرى، فإن ذلك مما يزيد مسئولية الأبوين. والأم لها نصيب كبير كما تقدم والمسئوليات التي شارك فيها الرجل كثيرة أهمها: مسئولية التربية الإيمانية، والعلمية، والخلقية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، والجنسية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله تعالى.

ويتميز المنزل عن بقية الوسائل باجتماع أفراد الأسرة فيه لساعات طويلة، والتوافق النفسي والاجتماعي بينهم، مما يتيح إمكانية عرض القدوة الصالحة، والتأثير عبر التوجيه الموزع غير المباشر، والملاحظة المستمرة، والاستفادة من سائر الفرص والأحوال وتأثير التوجيه والعقاب؛ لكونه بعيدًا عن أعين الناس.

وإن كنا قد تحدثنا عن دور المرأة في بيتها فإننا نذكر خصوصًا هنا دورها الدعوي مع زوجها، فالناظر في دور المرأة المسلمة في هذا المجال يجد أنه كان لدعم عمل الرجل، ولا يصح بحال التقليل من هذه المهمة؛ فإن المرأة تمثل السكن النفسي للرجل، وهي بذلك تؤدي عملاً دعويًا مهمًّا؛ لأنه لا يستطيع حل مشكلاته الخاصة إذا كان مشغول البال، فضلاً عن تحمله أعباء الدعوة. وكم عرفت الدعوات أناسًا سقطوا على طريق الدعوة أو ضعف إنتاجهم؛ لهذا السبب. وموقف خديجة رضي الله عنها في مواساة النبي ﷺ ومؤازرته وعونه: أكبر دليل على الأهمية البالغة لهذا الدور.

وكذلك عليها إعداد أبنائها للقيام بمهام الدعوة والانشغال بها والالتزام بمفاهيم الإسلام ومعانيه، وذكرنا من قبل كيف قدمت والدة سفيان الثوري -رحمهما الله- المثل الرائع في التربية الدعوية السلوكية حينما أرسلت ابنها إلى المعلم فقالت لولدها: يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، وقالت له ذات مرة: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك[2].

وعلى المرأة مع كل ذلك أن تستخدم المنافذ الدعوية المناسبة والمتاحة لها في إبلاغ كلمة الله ونشر فهم الإسلام الصحيح، فلا تترك فرصة ترشد فيها إلى خير أو تهدي فيها إلى حق أو تحذر فيها من باطل إلا وأحسنت استثمارها وقامت بواجبها.

ففي بيتها يأتي الضيوف من قريباتها وجاراتها وأصدقائها فلا تدع الفرصة تضيع في اللهو والثرثرة، ولكنها تخطط كيف تستفيد من هذه الزيارة، وكيف تدير دفة الحديث بعيدًا عن الأحاديث التي لا

---

(١) سورة التحريم، آية رقم: [٦].
(٢) صفة الصفوة، (٣/ ١٨٩).

يرجى من ورائها الخير، فلو أنها وعت ذلك وأعدت لهن شريطًا أو برنامجًا أو كتابًا أو فكرة للمناقشة أو قضية شرعية للحوار والمدارسة أو فكرة تعاونية أو أثارت فيهن حمية الدفاع عن الدين والمقدسات وقامت بإطلاعهن على أحوال المسلمين في العالم والدور الذي يجب أن تقوم به المرأة المسلمة تجاه هذه القضايا، وغير ذلك الكثير والكثير الذي يمكن أن تقدمه المرأة في هذا المنفذ الدعوي الهام بسهولة ويسر دون كثير عناء ومشقة، وكذلك لو أنها رتبت لهن زيارات مهدفة وقامت بنفس الدور وحافظت في زيارتها على الصلاة معهن في أول الوقت، وحافظت كذلك على عدم التردي معهن في الأحاديث التافهة أو الوقوع في أعراض المسلمين، والقيام بإرشادهن إلى ترك ذلك بلطف وحب ولين فما أعظمه وقتها من أثر، وما أكثره من نفع، وكما قال أحد الدعاة: إن الشر يحسنه كل الناس، أما الخير فلا يحسنه إلا مَنْ كتب الله لهم التوفيق(١).

أم داعية

إنَّ أول واجبات الداعية إلى الله في بيتها يتعلق بأبنائها الذين يجب أن يشبوا مسلمين، ومسلمات، لا يعتزون بشيء مثلما يعتزون بانتمائهم إلى الإسلام، وأن يتمثلوا أخلاق الإسلام، وآدابه في كل ما يصدر منهم من كلام أو عمل أو تعامل فيما بينهم، أو مع أقرانهم في البيت أو في المسجد، أو في المدرسة، أو غيرها.

وإنَّ هذا الواجب المتمثل في انتماء الأبناء للإسلام، وتمثل أخلاقه، وآدابه، منوط بالمرأة المسلمة ربة البيت بصور مباشرة، وبشكل ألصق من وجوبه على الرجل؛ لأن المرأة الأم ترعى هذا النشء منذ الطفولة المبكرة، وتسهم أكثر من غيرها في تشكيل أخلاقهم، وميولهم، واتجاهاتهم بطول مخالطتها لهم، على حين ينشغل الأب غالبًا بعمله، فيغيب عن البيت فترات ليست بالقصيرة.

فماذا تفعل ربة البيت مع هؤلاء الصغار الأحباب؛ ليلتزموا بأخلاق الإسلام ويحسنوا الانتماء إليه، فيعود ذلك عليهم، وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه بالنفع في الدنيا والآخرة؟

والأصل الذي يعالج كل الأطراف، ويسد كل الثغرات -بإذن الله تعالى- هو أمور عديدة على جانب كبير من الأهمية، نذكرها على الإجمال لا التفصيل، لتضعها الأخت الداعية نصب عينيها، فتعمل بها وهي كالآتي:

١. أن تعطي من نفسها القدوة لأبنائها منذ قدرة حواسهم على العمل، فتحرص تمامًا على أن تتمثل فيها كل صفة، تحب أن تجدها في أبنائها، فكلما التزمت بأخلاق الإسلام وآدابه في قولها، وفعلها، وكلما اعتزت بانتمائها للإسلام، كلما نشأ أبناؤها على التحلي بهذه الصفات. كما أن هذه القدوة توجب عليها أن تتخلى عن أي صفات لا تحب أن تراها في أبنائها، سواء أكانت هذه الصفات أخلاقية، أم شكلية تخص الملبس والمأكل والحركة والسكون.

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص: ١٣٥.

٢. أن تحرص الأم الحرص كله منذ أن يعي أبناؤها لما يستمعون إليه، فتحكي لهم القصص المختارة، التي تهدهدهم بها، أو تسليهم، أو تكون لهم القيم، وتغرس في نفوسهم فضائل الأخلاق.

وإن أفضل القصص ما ورد في القرآن، ووصفه الله -تبارك وتعالى- بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾(١).

٣. أن تحرص كذلك -وبخاصة عندما يشب أبناؤها، ويصبحون أكثر وعيًا- بأن تحدثهم عن المسجد، وأثره في المجتمع، وأن تهيئهم، وتؤهلهم للذهاب إلى المسجد بصحبة الأب، أو الأخ الأكبر، بمجرد أن يكونوا قادرين على ذلك -وحدود هذه القدرة هي معرفة الوضوء، والطهارة في الثوب، ومعرفة الصلاة... الخ- فإن المسجد جزء أصيل من شخصية المسلم، وعامل هام من عوامل تربيته.

٤. أن تحرص على أن تُكَوِّن في بيتها مكتبةً إسلاميةً ملائمةً لأعْمَار أبنائها، وأن تختارها بعناية، بحيث تلبي احتياجاتهم في مجالي الثقافة والتسلية لمن يعرفون القراءة من الأبناء.

أما الذين لم يتعلموا القراءة بعد فلا يهملوا، وإنما تستطيع الأم الداعية إلى الله أن تحقق لهم الثقافة، والتسلية أيضًا، عن طريق إسماعهم بعض الأشرطة المسجلة، وجعلهم يشاهدون الأشرطة المرئية، التي سجلت عليها مواد نافعة.

٥. أن تحرص المسلمة ربة البيت على ضبط أبنائها في النوم واليقظة، بحيث لا يسهرون فيضرون أبدانهم، وأخلاقهم إذا كانت السهرة مع التلفاز في أحد أفلامه، أو مسرحياته التي تستأصل القيم الفاضلة في نفوس الشباب صغارًا وكبارًا، وتتحدى الإسلام، وهي تشجع على الرذائل، ولا تعرض من الظواهر الاجتماعية إلا السيئ منها.

٦. أن تحرص على ألا تقع أعين أبنائها في البيت على شيء يغضب الله، أو يخالف شيئًا مما أمر به الإسلام، من تمثال وغيره، أو كلب يعايش الأولاد في البيت، أو صور لا يسمح بها الإسلام، فإن وقوع أعين الأبناء على هذه الأشياء في البيت تعودهم التساهل في أمر دينهم وعبادتهم.

٧. أن تحرص الأم الداعية على أن تكون مصادر ثقافة أبنائها نقية لا يشوبها شيء من الترهات، والأباطيل، أو المغالطات، وذلك بأن تجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة الرسول ﷺ أساسًا لمصادر هذه الثقافة، وأن تضيف إلى ذلك الكتب المختارة المبسطة الملائمة لأبنائها في شرح هذه المصادر الأساسية.

٨. أن تحرص الأم الداعية إلى الله على أن تزود أبناءها بالإجابات الصحيحة عن كل سؤال يطرحونه في طفولتهم، وبخاصة في فترات معينة من سني أعمَارهم وهي سنوات التطلعات لما

(١) سورة يوسف، من الآية رقم: [٣].

حولهم، ومحاولة إيجاد علاقات بين الموجودات، ومحاولة الاستفسار عمَّا يحدث لبعض أجزاء أجسامهم من نمو.

٩. كما أن على الأم الداعية أن تختار صديقات بناتها وفق معايير الإسلام، وأخلاقه، وآدابه، وأن تتابع هذه الصداقات، وتحيطها دائمًا بالرعاية والاهتمام، وأن تحرص على أن تستمر هذه الصداقة في مجراها الطبيعي المشروع لا تتجاوزه إلى غيره، مما يتهامس به المراهقات.

١٠. أن تخصص الأم الداعية لأبنائها وقتًا بعينه في يوم وأيام الأسبوع، تجلس إليهم، ولا تنشغل بسواهم من الناس أو الأمور، وأن تقيم علاقتها بهم على أساس من الود، والاحترام، وأن تتعرف من خلال هذه الجلسات على مشكلاتهم، وما في أنفسهم من متاعب أو مسائل لا يجدون لها حلاً(١).

كذلك من المهام الدعوية الهامة للمرأة المسلمة الصالحة المصلحة أن تتعلم أحكام التلاوة جيدًا، ثم تجمع قريباتها أو صويحباتها وتعقد لهن حلقة في بيتها أو بيوتهن أو أقرب مسجد لهن فتقوم بتعليمهن التلاوة الصحيحة، وتحفظهن القران أو ما تيسر منه، وبعض المعاني القرآنية على حسب علمها، وتحاول أن تجتهد في توثيق المعلومات التي تذكرها لهن، وتحذر أن تقول في دين الله بغير علم.

المرأة في المسجد:

كانت المرأة كثيفة الحضور ومستمرة الاشتراك في المسجد على عهد رسول الله ﷺ لتتعلم وتدعو إلى الإسلام حيث يجوز للمرأة الحضور إليه بإذن زوجها، ولا ينبغي له منعها إذا استأذنته للاستفادة مما يلقى فيه، ومن القدوة الصالحة؛ حيث يرتاد المسجد النخبة من الناس، وهو مكان مناسب لأنشطة نسائية مفيدة من حلقات تحفيظ القرآن، وتعليم العلم الشرعي النافع وغيرها(٢).

ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه منع النساء من الصلاة، ولا أقام الجدران الفاصلة بين الجنسين، ولا أسبل الأستار العازلة، إيمانًا منه أن القضية قضية تربية وإقناع وليست قضية قمع وترهيب، كما يفعل اليوم في كثير من البلدان. ومع أن ذهاب النساء إلى المسجد كان يثير غيرة الأزواج فإنه لم يجرؤ أحد على منع المؤمنات من مشاركة المؤمنين خير الصلوات الجماعية وخير الاستماع إلى خطب الجمعة بعد أن قال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »(٣).

---

(١) انظر: مقالاً عن دور الأم في إعداد الجيل المنشود، مجلة المجتمع العدد ٠٧٩٤دور المرأة في حمل الدعوة، محمد حسين عيسى الله، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٢) دراسات تربوية الاهتمام بدعوة المرأة وتربيتها: بقلم عبد اللطيف بن محمد الحسن مجلة البيان ع/٨٨، ص: ١٤، ٢١.وانظر تفاصيل تلك الميادين أيضًا: في، مقالات عبد الله البوصي، في البيان، ع/٨٨، ص: ٢٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، ج١، ص٣٠٥، رقم ٨٥٨.

إن المتمعن في هذه المعاملة الطيبة للمرأة في العصور الإسلامية الأولى يجد أن الرغبة النبوية في مشاركتها في إقامة الصلوات والتعلم والتعليم والدعوة إلى الله دليل قاطع على أن المرأة ليست كما يظن عوام الناس شر لا بد من إقصائه من الحياة!!

فعلى المرأة المسلمة أن تقوم بعقد دروس علم للنساء، في المساجد إن كانت مؤهلة لذلك فإن في ذلك الخير الكثير.

المجتمع:

كما يمكنها التأثير في المجتمع من خلال الإحسان إلى ذوي القربى والجيران والمحتاجين، ودعوتهم وتوجيههم، مما يوحي بترابط أفراد الأمة، وكونهم كالجسد الواحد.

المدرسة:

إذا كانت المرأة تعمل في مجال التدريس فعن ذلك حدث ولا حرج عن عظيم دورها وواجب وقتها وفرض عينها في التربية والإعداد والتوجيه من خلال استغلال المناهج الدراسية، والأنشطة المدرسية في توجيه الطالبات.

ومن ذلك: إصدار المجلات الحائطية الدورية في المدارس والجامعات، ويفضل أن تكون أسبوعية، حتى تُقرأ وتُتابع، أما موضوعاتها فتكون متنوعة وشيقة، ولا بأس بفتح المجال للطالبات للمشاركة فيها، وتربيتهن، والعمل على توجيه المدرسات والعاملات وإصلاحهن.

القدوة الحسنة:

وهي أعظم المنافذ الدعوية وأفضلها أثرًا، فما انتفع الناس بشيء في الداعي أعظم من انتفاعهم بسلوكه وخلقه الحسن، وصدقه في القول والفعل، فالمعلمة التي تنهى طالباتها عن النمص –مثلاً– وهي تفعله، لن يكون لقولها أي تأثير، بل سيكون مثار سخرية وتندر.

ومن الوسائل المهمة والأساليب المؤثرة:

١. الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة الصادرة من القلب، وما خرج من القلب فإن يصل إلى القلب.
٢. الكتاب والشريط المناسبان، لا سيما كتب الرقائق، والقصص المؤثرة التي تدعو إلى الفضيلة والسلوك الحسن، فهي مفتاح للهداية والتوبة.
٣. المشاركة في وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز على أن تلتزم بالضوابط الشرعية في كل عمل خاصة في هذا الجانب.
٤. الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة كالإنترنت مع الحذر مما فيه من الشرور، والاستعانة بمن لهم خبرة في ذلك من الدعاة.
٥. الدعوة بالمراسلة، وبإمكان الفتاة الحصول على عناوين الفتيات عن طريق صفحات التعارف في المجلات وغيرها. ويجب أن يقتصر دور الفتاة على مراسلة الفتيات فقط من أجل توجيههن والأخذ على أيديهن، وهذا المجال مجال رحب، وأجمل هدية يمكن أن تقدم عن

طريق المراسلة هي الكتيب النافع، والمطوية المفيدة، والشريط المؤثر، وهذا المجال يحتاج إلى شدة الحذر حتى لا تنزلق قدمها في تعارف مع رجال حتى ولو بقصد الدعوة فهذا لا يحل لها وليس من مجالاتها في الدعوة مطلقًا.

٦. إقامة المسابقات النافعة، لا سيما في الاجتماعات العائلية ونحوها، ووضع جوائز مفيدة ومشجعة.

٧. العناية بإصدار النشرات المفيدة المختصرة، في المناسبات وغيرها، على أن تكون بخط واضح، وإخراج جيد. ولا بد من عرضها على المتخصصين لتصحيحها، وضمان سلامتها من الأخطاء.

٨. العناية بلوحات الإعلانات في الأماكن النسائية، وتنظيمها وتجديدها كلما جد جديد، والدال على الخير كفاعلة.

٩. إلقاء الدروس والمحاضرات النسائية لمن لديها القدرة على ذلك، لا سيما في كثير من الأماكن التي لا يدخلها الرجال.

١٠. إعداد مظاريف شهرية تحتوي على كتيب وشريط ومطوية ونشرة، بعدد الإخوة والأخوات الأشقاء توزع عليهم في بداية كل شهر، فالأقربون أولى بالمعروف، على أن يراعى في اختيار الكتيبات والأشرطة المناسبات المتكررة. ويمكن التوسع في التوزيع ليشمل أكبر عدد من الأقارب، أو حتى الجيران.

١١. التعاون مع المؤسسات الدعوية، كمكاتب الدعوة وتوعية الجاليات في البلاد التي فيها مثل هذه المؤسسات، والمؤسسات الخيرية الإغاثية ونحوها كالندوة العالمية أو الجمعية الشرعية .. أو غير ذلك، فهم بحاجة إلى العنصر النسائي في الدعوة .

١٢. زيارة بعض الداعيات القديرات الأماكن النسائية العامة التي يغلب على أجوائها اللهو والغفلة، كمدن الملاهي، والأسواق النسائية ونحوها، ومناصحة النساء بالأساليب الحسنة، وتوزيع المطبوعات الدعوية، ولا تترك هذه الأماكن لشياطين الإنس والجن ليجدوا فيها بغيتهم، ويرفعوا فيها رايتهم(١).

١٣. وهناك أعمال أخرى تهم المرأة المسلمة، وتقوم بها بالضوابط الشرعية كإعداد كوادر مستقبلية للدعوة، وجمع المعلومات وأخبار العالم الإسلامي، وإيجاد فرص للعمل عن طريق فتح المشاغل النسائية أو المستشفيات النسائية، ومن نذرت نفسها لله، تبحث عن كل سبيل نافع ومشروع لإيصال دعوتها إلى بنات جنسها، وتقوم بواجبها على أتم وجه، مما يرضي الله

(١) انظر: دور المرأة في حمل رسالة الإسلام، ص: ٧٤، الشيخ محمد حسين عيسى، وانظر مقالاً للدكتور محمد عبد العزيز (ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة): شبكة نور الإسلام، وانظر خولة درويش في، صيد الفوائد، ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة.

تعالى، ويثير حفيظة الخصوم، ويثلج صدور المسلمات التقيات. ومن ذلك: قيامها بواجبها في محاربة أعداء الإسلام وفضح مخططاتهم.

حيث يجب عليها أن تدرك مخططات أعدائها، فلا تنخدع بالأفكار العلمانية المنحرفة، ولا تنطلي عليها ضلالاتهم المزخرفة، ولا تتأثر بشبهاتهم، ولا تلتفت إلى باطلهم وافتراءاتهم، ترفض دعاوى الجاهلية مهما كان رداؤها ومن أي مكان كان مصدرها شرقية كانت أم غربية.

فعلى المرأة المسلمة أن تقف سدًا منيعًا إلى جانب الرجل المسلم في وجه ما يخطط للأمة الإسلامية من خلالها، فلا تكون عونًا لأعدائها وأعداء أمتها؛ بل يجب عليها أن تعي وتدرك ما يدور حولها من خطط لإبعادها عن دينها ورسالتها في هذه الحياة وتهميش دورها في بناء مجتمعها الإسلامي، وإشغالها بتوافه الأمور، وإضاعة وقتها في تتبع ما تبثه الفضائيات، وما تنشره المجلات الهابطة من عروض للأزياء وغيرها، ومتابعة أخبار الفنانين والفنانات..إلخ.

عليها أن تَحذر وتُحذر من دعواتهم المضللة، التي قلبوا فيها القيم، وعكسوا المفاهيم، وشوّهوا الحقائق، كدعوى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ليصنعوا امرأة مبتذلةً لشهواتهم وأهوائهم يحررونها من لباسها وعفتها ويتحررون هم من قيود العفة والأخلاق في الوصول إليها فتصبح بين أيديهم في نهارهم وليلهم!! جارية لعوب، وغانية رخيصة في سوق الملذات ودور الأزياء!!

ولما كانت الأسرة أكبر معقل تربوي حرصوا على تقويض أركانه بأنواع من المكر والخداع. وإذا علمنا مدى ما تعمله قوى الشر؛ حيث تقف مجتمعة لمجابهة هذا الدين وأهله، وراقبنا عن كثب تفننها في وسائل مقاومته، وابتكارها الطريقة تلو الأخرى لتبقي الأجيال شبابًا وشابات في معزل عن مفاهيم دينهم الحق، أو لتشويه صورته الناصعة في أعينهم أدركنا أن نشاط أعدائنا لحربنا لا يعطينا مسوِّغًا إلى الركون والسلبية، كما هو شأن البعض! فالهجمة الشرسة لا تصدها الانهزامية!

إن مما يعصر القلب ألمًا: النظرة القاصرة عند البعض التي تتجلى في احتقار الذات، والشعور بالصغار؛ مما يثبط عن العمل، ويقعد بالهمم،وعندما تحتقر المرأة نفسها وتشعر بضآلتها وهي تقول: وماذا عسى أن ينفع كلامي؟ ومن يسمع صوتي الضعيف؟!

أوَما تذكرت أن فرعون كان أكثر بيانًا من نبي الله موسى عليه السلام مما جعل فرعون يقول: أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين[1] ومع ذلك ما ضرّ ذلك موسى عليه السلام شيئًا؛ فالله وحده تكفل بنصر الحق ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[2].

إنّ التخلي عن الواجب الدعوي للمرأة كان له نتاج تخريبي في المجتمع. لقد رضيت ضعيفات الإيمان طائعات أن يكن سمسارات لمبادئ الغرب، ومن جنود إبليس، وما ذاك إلا لغياب الداعية المواجهة الواعية. وكان حري بالمؤمنات أن يقرعن الحجة بالحجة، ليظهرن مدى تفاهة الباطل وأهله، ويحمين الأجيال حتى لا تنساق وراء ترهاته وأباطيله.

---

(١) سورة الزخرف، آية رقم: [٥٢].
(٢) سورة الحج، آية رقم: [٤٠].

إن المعركة بين الحق والباطل مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فلا يصح للمسلمة أن تقف موقف المتفرجة، حتى لا تكون هي أكثر المصابات!

أمتنا بحاجة إلى كل عقل مفكر، أو نية طيبة حاجتها إلى العمل المنتج، والأديان المختلفة بل وجميع المذاهب الفكرية ما انتشرت إلا بالدعوة إليها، وقد شاركت المرأة الرجل بما يناسب طبيعتها، ونشطت نساؤهم لنشر مبادئهم، فالمنصِّرون كانوا وما زالوا يعملون على تخريب الأجيال، ودس الشبهات، ويسيرون وفق تخطيط دقيق يوزعون فيه الأدوار بعناية وحذق.

تتحمل المنصِّرات (المبشرات) الكثير من الضنك وشظف العيش، وقد تعيش إحداهن في صحارٍ مقفرة حياة بدائية تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة، تخالط أهل الصحاري والقفار، تدخل إلى القلوب من خلال التعليم أو التطبيب أو الخدمات الاجتماعية، أو حتى المشاركات الوجدانية.

أوَليست المؤمنة الصادقة أوْلى بالنهوض بواجبها والبعد عن التقصير والتفريط، لئلا تكون بتقصيرها عونًا لأعدائها من حيث لا تدري؟!

أوَليس واجبها أن تتحرى ما ينقص مجتمعها من الأمور الفاضلة الخيِّرة، وما يناسبه من الأمور المشروعة، فتُقْدِم ولا تُحْجِم؛ علّها تحيي سنة وتميت بدعة؟!

فعلى كل مسلمة حسب اختصاصها، وحسب إمكانياتها أن تقوم بواجب الدعوة إلى الله سواء بالقول السديد، أو القدوة الصالحة؛ فلا تبدد أوقاتها، ولا تذهب عمرها سدى، ولا تميت قلبها بالحسرات على أمتها المسلمة دون أن تبذل شيئًا نافعًا ذا بال، بل تنشط وتُنشط، ولا تبالي بعثرات الطريق ولا تأبه بالصعاب؛ لأنها تقوم بواجبها متطلعة إلى رضوان الله[1].

إن على المرأة المسلمة أن ترصد هذه الدعوات الهدامة سواء كانت وافدة أم من بني جلدتها وممن يتكلمون بلسانها من بني قومها الحروف عربية وأفكارهم غربيةٌ أجنبيةٌ شيطانية.. تتصدى لهم بخنجر العلم والإيمان.. مقتدية بأخواتها اللاتي سبقنها بالإيمان ومنهن أم سليم كما روى الإمام مسلم عن أنس: أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة -زوجها- فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته، إن دنا مني أحد المشركين بقرت به بطنه!! فجعل رسول الله ﷺ يضحك..[2] ولم يقف طموح المرأة المسلمة في عهد النبوة والصحابة للمشاركة في الغزو عند المعارك المجاورة والقريبة في الأرض العربية كخيبر وحُنَين، بل طمحن إلى ركوب البحار، والإسهام في فتح الأقطار البعيدة لإبلاغها رسالة الإسلام.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ قال عند أُم حرام بنت ملحان (خالة أنس) يومًا، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أُمتي عُرِضوا

(١) انظر: خوله درويش مقال بعنوان ميادين الدعوة في حياة المرأة المسلمة موقع، صيد الفوائد، ودور المرأة في حمل رسالة الإسلام، ص: ٥٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال، ج٥، ص١٩٦، رقم: ٤٧٨٣.

علىَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكًا على الأَسِرَّة –أو مثل الملوك على الأَسِرَّة»، قالت: فقلت: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها [١].

فركبت أُم حرام البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان، مع زوجها عبادة بن الصامت إلى قبرص، فصُرِعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودُفِنت هناك. ومن الوقائع المشهورة رد إحدى المسلمات على عمر في المسجد في قضية المهور، ورجوعه إلى رأيها علنًا، وقوله: (كل الناس أفقه من عمر!). وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء ونسبها إلى أبي يعلى في مسنده، وقال: إسنادها جيد قوي[٢].

وقد عيَّن عمر في خلافته الشِفاء بنت عبد الله العدوية محتسبة على السوق [٣].

فالمرأة مدعوة للمشاركة في الرصد والذب عن بيضة الإسلام..

وقد عقد الإمام البخاري بابًا في صحيحه في غزو النساء وقتالهن.

ومما هو مطلوب من المرأة.. أن تقاطع بضائع أعداء الله عز وجل لتضيق الحصار عليهم وحتى لا تكون عونًا لأعداء الله على أمتها فيستخدمون أموالنا في حربنا وقتلنا.. وأن تغرس كره اليهود في قلب أبنائها وكذلك من أعانهم وساعدهم..

إن الكثير من شركات أدوات الزينة التي تسمى "الماكياج" شركات يهودية تحتاج إلى مقاطعتها واستبدالها بشركات أخرى ليست معروفة بعدائها للإسلام والمسلمين.

متابعة قضايا الأمّة وتقديم ما تستطيعه للمجاهدين وربط أخواتها النساء بهذه القضايا وإشعارهن بأن لهن دورًا لابد من القيام به لنصرة الإسلام في أي مكان في العالم.. فإذا سقط وجوب الجهاد القتالي على المرأة فإن الجهاد المالي قد لا يسقط إن كانت من أهل المال، أو تستطيع أن تنصر إخوانها بالمال.

فالمرأة الصالحة المصلحة لا تراها إلا تربي طفلاً أو توجه زوجًا أو تدعو ربًا أو تنشر خيرًا أو تبذل مالاً، أو تقدم عونًا.

ولقد تأملت في حال الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمّة رحمهم الله في انطلاقهم في كل صقع من الأرض، مجاهدين ودعاة ومربين ... وغياب بعضهم المدد الطويلة فألفيتها تعطي أوضح دليل على ما كان لنسائهم من دور فعّال في تربية أبنائهم، الذين كانوا على خطى آبائهم؛ دينًا ومنهجًا وقوة ومَضَاء ! !. وجُلّ نساء اليوم لا تعي هذا الدور، ولا تفهمه، ومن باب أوْلى لا تقوم به، فعندما تزف البنت إلى عش الزوجية تظنه مكانًا للراحة والتدليل، وما درت أنه بداية الكفاح والتضحية، والمسئولية والعطاء الذي تطرق به باب الجنة، إن قامت به على وجهه [٤].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة، ج٣، ص١٠٢٧، رقم ٢٦٣٦، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة ، باب فضل الغزو في البحر، ج٦، ص٤٩، رقم ٥٠٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/١، طبعه عيسى الحلبي، وأوردها الهيثمي في المجمع وقال: فيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وثق: ٢٨٤/٤.

(٣) الإصابة ١٢٠/٨).انظر موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، جمعها وقدم لها ورتبها: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة.

(٤) انظر: أفكار للداعيات تأليف هناء الصنيع، تقديم الشيخ عبد الله الجبرين، ص٣٧، العبيكان، السعودية.

ولا يقف دور المرأة عند هذا الحد، فإن لها دورًا قويًا مؤثرًا في كونها قدوة حسنة، كريمة الأخلاق، حسنة المعشر، تقضي حوائج الناس، وتشاركهم همومهم وأفراحهم مع التزام الشرع إضافة إلى الدعوة المقصودة في انتهاز الفرص المناسبة للدعوة والتوجيه، مع مراعاة أحوال المدعوات والمدعوين من المحارم وقد بلغ نساء السلف في هذا مبلغًا عظيمًا.

إن على المرأة المسلمة أن تنبذ الراحة الموهومة، والنوم والكسل الذي ران على نفوس الكثيرات، وتجتهد لتقوم بواجبها نحو أمتها المسلمة، ونحو أجيالها الرشيدة بما تقدر عليه، وتستثمر وقتها بما يفيد؛ مع انتهاز الفرص المناسبة؛ علّنا نزيل الظلمة الحالكة التي ألمت بأمتنا... ونورث الخير للأجيال القادمة... وإلا بقيت آمالنا حبيسة لا تتعدى صدورنا، وبقيت أجيالنا في مؤخرة الركب بدلاً من قيادته.

فلو أنَّ المرأة المسلمة تخفت في بيتها خاصة في عصرنا الحاضر لتركت المكان لغير المسلمات وصاحبات الصالونات الفكرية المنحرفة والتيارات المضللة والجمعيات المفسدة والمؤسسات المدعومة من الأعداء يعملن على إفساد المجتمع ونشر الرزيلة ومحاربة الإسلام وهدم معالمه في قلوب المسلمين عامة والمرأة بصفة خاصة.

إن جمعيات النساء التي امتلأت بها الدنيا لا يسمع صوتها إلا في محاربة الحجاب وتحريم النقاب وتحريم الختان وإباحة الشذوذ، ونشر الرزيلة والفاحشة وتيسيرها، والحث عليها ومحادة الله ورسوله بالدعوة إلى التسوية في الميراث والتحرر من كل الضوابط والأحكام الشرعية في الوقت التي تقبع فيه المرأة المسلمة لا تحرك ساكنًا ولا تقيم متهدمًا ولا تصلح فاسدًا لا ولله ما كانت نساء النبي هكذا ! وما هكذا أراد الله من إمائه!

أما وجب على المرأة المسلمة أن تبذل قصارى جهدها ولا تترك منبرًا شرعيًّا تستطيع أن تعلن في عن مفاهيم الإسلام العظيم إلا واستثمرته أحسن استثمار، وقدمت فيه النموذج الحقيقي الرائع للمرأة المسلمة.

إنّ الإصلاح واجب على المجتمع رجالاً كانوا أو نساء، ذكورًا أو إناثًا، كل فيما يستطيع، وحسب ما أعطاه الله تعالى، فلنبذل جهدنا والتوفيق من الله تعالى.

ونسأل الله تعالى أن يُلْهِم أُمّتنَا أمر رُشْدٍ، وأن يُصْلِح أحوالنا، وأن يستخدمنا ونساءنا لدينه، وأن يوفقنا لطاعته في كل أوان، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة المباركة مع معالم الربانية في حياة المرأة المسلمة ندرك أن تلك المعالم ليست مجرد خيالات أو ادعاءات، ولكنها حقائق يجب أن تتجسد على أرض الواقع لترسم ملامح جديدة للمرأة المسلمة التي اختفت عن الساحة أو كادت لأزمنة طويلة فتركت المجال للعابثين والعابثات يقدمون صورة مبتذلة عن المرأة المسلمة لا تنم عن الحقيقة الإسلامية الكبرى وهي أن المرأة المسلمة رائدة في صناعة الحياة الإسلامية، فما كان لها أن تختفي عن ميادين العلم والمعرفة لتغرق في بحار الأمية والجهالة، وما كان لها أن تتأخر عن ميادين العبادة والترقي في مدارج السالكين لإرضاء رب العالمين لتسقط في أودية المعاصي ومهالك التقصير.

وما كان لها كذلك أن تكون بمعزل عن مجتمعها وبمنأى عن حاجاته ومطالبه، بل لا بد أن تكون لها اليد الطولى في إصلاح المجتمع ومد يد العون المالي والفكري، وبكل جهد تملكه، وبمؤسسية راقية فاعلة.

كما ينبغي لها ألا تتأخر عن ساحة الدعوة إلى الله –تعالى– فهي مورد الخيرية للأمة ومن أعظم صور الجهاد، وإني لأعجب لتقدم المبطلين وتقاعس أهل الحق والمخلصين.

والله أسأل أن يحيي أمتنا من جديد، وأن تعود للمرأة المسلمة عزتها ومكانتها، وأن يعود إليها دورها الرائد في إصلاح المجتمع وصناعة الحياة.

والله ولي التوفيق.

أهم المراجع

- إبطال الحيل لابن بطة، تحقيق د. سليمان بن عبد الله العمير، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- أحكام النساء ٢٣٢ دار القاسم، الرياض ط أولى ١٤٢١ هـ، الوافي بالوفيات.
- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ونسخة أخرى - دار القلم - بيروت - لبنان.
- أخبار مكة للفاكهي لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- الاستيعاب لابن عبد البر: تحقيق، الناشر مير محمد كتب خانه .
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.
- أعلام النساء، علي محمد علي دخيل، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - مايو ٢٠٠٢م.
- البحر المحيط ، دار الفكر - بيروت سنة الطبع: ١٤٢٠ هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل.
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: / الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- تاريخ ابن الوردي، المؤلف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي.
- تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.
- تفسير ابن كثير: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير البحر المحيط - المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢] المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، دار ابن كثير ، اليمامة،

بيروت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الثالثة، د. مصطفى ديب البغا.

- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨.
- الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.
- حياة الصحابة للكاندهلوي، سنة الوفاة ٧٤٩هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ –١٩٨٠م.
- دور المرأة المسلمة بين الأصالة والمعاصرة فاطمة بنت خليل محمد محسن.
- الرسائل للشيخ حسن البنا، دار التوزيع والنشر، القاهرة ١٩٩٢م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م
- سنن ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت، محمد فؤاد عبدالباقي.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤، محمد عبد القادر عطا.
- سنن الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧، الأولى، فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.
- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ - ١٩٩١، الأولى.
- سير أعلام النبلاء، تصنيف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م، تحقيق: شعيب الأرناءوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - (٢ / ٧١٧) علي بن برهان الدين الحلبي، الناشر: دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٠٠هـ، مكان النشر: بيروت.
- السيرة النبوية، ابن هشام، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج٣، ص٧٥.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس - عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناءوط، محمود الأرناءوط الناشر: دار بن كثير، سنة النشر: ١٤٠٦هـ مكان النشر: دمشق.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القيشري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، محمد فؤاد عبد الباقي.
- صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ – ١٩٧٩، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي .
- طبقات الحنفية - عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد.

- الطبقات الكبرى المؤلف: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ٢٣. هـ المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م .
- فتوح الشام - أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢,٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- في ظلال القران سيد قطب، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٥م.
- المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الثانية، عبد الفتاح أبو غدة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، مكان النشر: لبنان / بيروت، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ – ١٩٩٠، الأولى، مصطفى عبد القادر عطا.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤,٤ - ١٩٨٤، الأولى، حسين سليم أسد.
- مسند أحمد، عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.
- مسند الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت .
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الثانية، حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
- مفاتيح الغيب الأمام فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
- منهج ابن تيمية في الدعوة، د / عبد الله الحوشاني، ج١، ص ٢١٦، ٢٢٠، الناشر: دار إشبيليا - الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧هـ.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.